«الهدف» تحاور الأديب المغربي محمد صوف

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

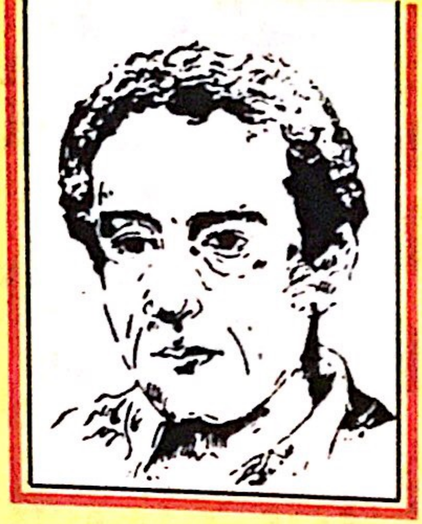
AL HADAF

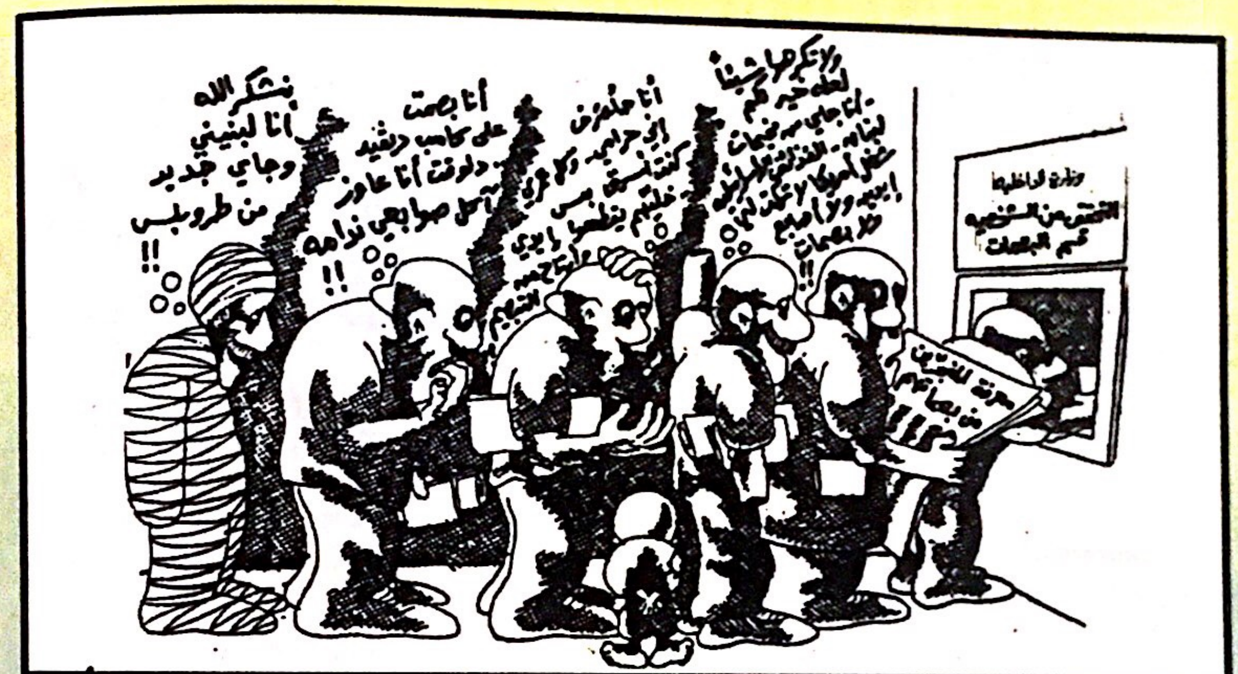
الهدف

العدد ١٢٩٠ / ١٤ آذار ١٩٩٩ السنة الثامنة والعشرون - الثمن [illegible] ل.س / ١٠٠٠ ل.ل
AL-HADAF - No. 1290 - 14/3/1999

الدولة الفلسطينية بين المقاومة والمساومة









ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم

الآن «الهدف» على الانترنت

عنوان الموقع على الشبكة:
- http://www.crosswinds.net/lebanon/~alhadaf

البريد الإلكتروني:
- E-mail: alhadf@lebanon.crosswinds.net

كذلك سيتم نشر المجلة إلكترونياً أيضاً على نظام إنترنيت حديث جداً خلال أسابيع قليلة، وهو أسرع، وسيكون عنوانه:
- http://www.crosswinds.Palestine/~alhadaf

النموذج اللبناني في المقاومة

مثال يحتذى لتغيير الواقع

بعد اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م، واحتلال بيروت، وتوقيع اتفاق السابع عشر من أيار، اعتقد قادة إسرائيل بأنهم سيحولون لبنان إلى أداة طيّعة لخدمة سياستهم وأهدافهم العدوانية في المنطقة.

ولم يكن قادة تل أبيب يدركون بأن المستنقع اللبناني، سيخلق لهم من المشاكل والأزمات ما فاق كل تصوراتهم.

حيث أضحت قضية احتلال الجنوب اللبناني والخسائر البشرية الباهظة التي يدفعها الجيش الإسرائيلي إحدى أهم المسائل الساخنة التي تحرك الرأي العام وتخلق تفاعلات عميقة في المجتمع الإسرائيلي الذي تتصاعد داخله قوة الإتجاهات المطالبة بالخروج من لبنان ومن جانب واحد.

وقطعاً ما كان لكل ذلك أن يحدث لولا المعادلة الواضحة والبالغة الدلالة التي فرضتها المقاومة الإسلامية والوطنية في لبنان. وجوهر هذه المعادلة أن الإحتلال لأرض الجنوب دون ثمن، وأن الجيش الإسرائيلي المحتل لن ينسحب إلا بإدماء جنوده وضباطه وبصورة متزايدة يوماً بعد يوم.

هذه المعادلة نجحت المقاومة اللبنانية في فرضها كحقيقة لايمكن تجاهلها عند الحديث عن لبنان الذي قدم أغلى التضحيات والدماء لتحرير أرضه ونجح في إرغام العدو على التفكير بإعادة حساباته.

لقد قدمت المقاومة نموذجاً لبنانياً يحتذى في الجهاد والكفاح يتسم بالتواصل والتنظيم ووضوح الهدف وعمق الإرادة والإستعداد اللا محدود للتضحية والشهادة واختيار طريق النضال كخيار لارجعة عنه لإستعادة الأرض والحقوق.

وقد تمكنت المقاومة من استقطاب الشارع اللبناني بجميع اتجاهاته وفئاته جاعلة منه قوة متماسكة وموحدة تجمع على مواجهة العدوان والإحتلال.

إن ما فعله طلبة لبنان وفتياته وفتيانه بجميع انتماءاتهم ومشاربهم في أرنون يحمل أعمق المعاني وأبلغ الدروس التي ينبغي استخلاصها من قبل كل من يريد أن يدرك معاني المقاومة ودلالاتها وأبعادها.

لاشك أن تصاعد روح المقاومة في لبنان وإيقاع الخسائر البشرية الملموسة في صفوف ضباط وجنود الاحتلال ترك وسيترك أثاره العميقة على البنية الداخلية للمجتمع الإسرائيلي وسيبرهن أن سياسة الإرهاب والإحتلال لن تجلب الأمن كما يتبجح قادة اسرائيل ولن تكون دون ثمن.

إن العمليات البطولية في جنوب لبنان وفلسطين ونموذج المقاومة والكفاح يعطي درساً بليغاً، ويشكل صفعة قاسية لكل الذين هرولوا صاغرين أمام العدو وتفوقه العسكري تحت شعارات مضلّلة ومخادعة تطرح باستمرار سؤال: وما هو البديل في ظل المتغيرات العالمية والإقليمية والنظام العالمي الجديد؟

إذا كان هؤلاء لايملكون البديل ويريدون الحفاظ على مواقعهم ومصالحهم الضيقة وبالتالي قدموا كل التنازلات والخنوع عليهم أن يدركوا أن للشعب خياراً آخر وبديلاً معمّداً بالدماء دفاعاً عن الأرض والحرية والكرامة.

قالوا: لم يعد هناك فائدة من خيار القتال وأنه بات أسلوباً قديماً لن يحقق أية نتائج ملموسة. وقالوا: أنّ طريق المفاوضات وإدراك المتغيرات الدولية والتسليم بالجبروت الأمريكي وكسب ود الولايات المتحدة هو الطريق الأجدى الذي يمكن أن نستعيد من خلاله بعض حقوقنا. فماذا كانت النتيجة؟ فرسان أوسلو لازالوا غارقين في مستنقع تنازلاتهم ومراهناتهم على كرم إسرائيل التي توجه لهم الصفعات كل يوم مستمرة في سياسة الإستيطان والتهويد وخلق الحقائق الجغرافية على الأرض للإستيلاء الكامل عليها.

وفرسان أوسلو لازالوا يتخبطون في أزماتهم ورهاناتهم الخاسرة التي تنقلهم من مأزق إلى آخر حيث باتوا يمارسون فقط سياسة الإستجداء والرضوخ.

إن النموذج اللبناني في المقاومة بات يعطي نتائجه الملموسة وبأسرع مما تصور البعض، فها هم قادة إسرائيل يتسابقون في إعطاء التصريحات وخاصة على أبواب الإنتخابات حول الانسحاب من جانب واحد، حيث أعلن أيهود باراك زعيم حزب العمل عن تعهده القاطع في حال انتخابه رئيساً للوزراء بالخروج من المستنقع اللبناني خلال عام واحد وأدلى كثيرون غيره بمثل هذه التصريحات التي تعبّر عن عمق المأزق الإسرائيلي في لبنان.

لاشك أن طريق المقاومة بنتائجه ودلالاته العميقة سيعيد الأمور إلى نصابها ومنطقها الصحيح. هذا المنطق الذي حاول ويحاول دعاة سياسة التفريط قلب مفاهيمه وتشويه حقائقه، لكن هذا التشويه سيواجه بإرادة الشعب لأنها الأبقى والأقوى في نهاية المطاف.



المشرف العام

د. ماهر الطاهر

رئيس التحرير

نصار ابراهيم

سكرتير التحرير

خليل جنداوي

مدير الادارة

محمد خير الأسعد

المدير الفني

زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٣٠ ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلساً/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارات ١٠ درهماً/ الجزائر ١٥ ديناراً/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالاً/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١١ درهماً/ امريكا وكندا ٣ دولار/ المانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد

سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والاردن ٣٠ دولاراً/ بقية الدول العربية ٥٠ دولاراً/ اوروبا ١٢٥ دولاراً/ اسيا وافريقيا ١٠٠ دولاراً/ الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولاراً

يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي بنك بيروت والبلاد العربية

شتورا ـ لبنان

رقم الحساب AC.NO.220094

او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص.ب ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق ـ ص.ب ٣٠١٩٢

دمشق ٦٣٢٢٨٢٦٧

٦٣١٩٣٧٤

بيروت ٣٠٩٢٣٠

عمان ٦٩٦٦٣٤٠

صنعاء ٢٠٥٨٤٩

الجزائر ٥٩٤٥٤٨

٣٨٤٣٠٤

بغداد ٧١٩١٦٣٢

٧١٧٤٧١٠

الهدف

AL - HADAF

سياسية عربية - تصدر مؤقتا كل أسبوعين

«الهدف» ١٨ تشرين اول ١٩٩٨ ـ العدد ١٢٨٦

السنة الثامنة والعشرون ـ الثمن ٣٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل

AL - HADAF - No. 1286 - 18/10/1998

كلمة

مع انتهاء الحرب الباردة، بدأت السياسة الأمريكية وذيولها على امتداد العالم حملة انتقامية شرسة للنيل من المناضلين الذين اتهموا في مرحلة سابقة بـ «الإرهاب».. ومن المؤكد أن الهدف الأساسي لهذه السياسة هو كسر روح الثورة وإيصال المظلومين والمضطهدين في كل مكان لقناعة بعدم جدوى كفاحهم.. وأن من يجرؤ لاحقاً على الإحتجاج والتمرد واختراق جدار الصمت سيجد نفسه في زنزانة حتى لو نجح بالاختباء في آخر الأرض.. هذا ما تشي به عملية اعتقال المناضل الأممي كارلوس.. وبعده القائد الكردي عبد الله أوجلان الذي وقع في اسر جلاديه بعد عملية قرصنة دولية متعددة الجنسيات.. وقبل هذا وذاك نتذكر المناضلة سهيلة أندراوس والمعروفة أيضاً بثريا الأنصاري التي تقضي الآن حكماً لمدة ١٢ سنة في سجون النروج..

تتذكرون طبعاً هذه المناضلة التي شاركت في خطف طائرة ألمانية وتحويل مسارها إلى مقديشو، حيث تمكنت في النهاية قوة كوماندوز ألمانية من قتل رفاقها الثلاثة فيما نجت سهيلة أندراوس بأعجوبة مع جميع ركاب الطائرة، وجرى محاكمتها في الصومال وسجنها هناك..

بعد ذلك تزوجت ثريا الأنصاري وحاولت أن تعيش حياة طبيعية مع زوجها وابنتها، فانتقلت لأوسلو، ومع ذلك جرى اعتقالها عام ١٩٩٢ ثم تم تسليمها لألمانيا التي حاكمتها مرة أخرى وأصدرت بحقها حكماً بالسجن لمدة ١٢ سنة.. وجوبه الحكم بحركة احتجاج واسعة في النروج وألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية.. وفي العام ١٩٩٧ نجحت هذه الإحتجاجات بنقل سهيلة أندراوس من بون إلى سجن في النرويج.. والجديد في الموضوع أن حركة الإحتجاج هذه والتي تضم قوى طلابية وسياسية مختلفة تشن الأن حملة لإطلاق سراح سهيلة بسبب وضعها الصحي.. ونشير هنا إلى أن احدى الفرق الموسيقية المشهورة في النرويج (بيو لسن فالسموللو) أصدرت مؤخرا أسطوانة إكراماً لأندراوس، فيها أغنية تقول: «الجنرالات يكافأون بجائزة نوبل للسلام وسهيلة أندراوس تموت ببطء في الزنزانة»..

وبهذه المناسبة نناشد رفاقنا وأصدقاءنا وخصوصاً المتواجدين في الدول الغربية أن ينضموا لهذه الحملة لإطلاق سراح سهيلة أندراوس بكل ما يتيسر لهم من سبل.. الانترنت والبريد الإلكتروني.. البيانات الجماعية أو الفردية.. الإعتصامات والإجتماعات الإحتجاجية.. الحفلات الفنية والندوات.. علّنا نقول لكل أعداء الحرية والأفكار الجميلة أن مساعيهم لن تبوء إلا بالفشل.

موضوع الغلاف:



الدولة الفلسطينية
بين المقاومة والمساومة
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون عربية

شؤون العدو

شؤون دولية

الهدف الثقافي:

مرايا هذا الزمان

- د. محمد أبو ناموس -

أهلاً.. شرعية دولية

اعتدت مؤخراً على متابعة نشرات الأخبار، وسماع وقراءة تقارير المراسلين الصحفيين، والمعلقين السياسيين العرب والأجانب، التي تتحدث عن حرب الإستنزاف الهمجية التي تشنها القوات الانجلوامريكية ضد العراق فخشيت أن تنتقل هذه الحمى إلى اطفالي، ومن ثم تسبب في عجزي عن الإجابة الشافية على أسئلتهم البريئة. وقبل أن يحصل المقدّر، منّ الله عليّ بالشفاء العاجل من هذا الوباء الخطير، بأن انتابني شعور بالملل والقرف والإحساس بالغثيان الذي وصل إلى حد الإقياء، فأقلعت عن هذه العادة.

وفي لحظة صفاء، بدأت تحضرني اسئلة عديدة، تُرى لماذا تمارس كل هذه الجرائم بحق هذا البلد الجميل، الغني بتاريخه، المشرق بحضارته العريقة، وشعبه الشهم الطيب؟ لم يبخل العراق في يوم من الأيام ولم يتخاذل عن تقديم شبابه الذين قدموا أرواحهم فداءً للعرب. فكانوا السباقين في تلبية نداء الواجب دفاعاً عن كرامة الأمة وذوداً عن شرفها.

هل صدق المثل الذي يقول رُبّ نعمة تتحول على أصحابها نقمة. هذا نصيب الأمة العربية وما حبانا به الله من النفط والذي قُدّر أن يكون شريان حياة الغرب المتغطرس المتعجرف علينا.

يقول الخبراء على ذمة الراوي أن العراق يحتوي على اكبر احتياطي من هذا الذهب الأسود حسوّد الله وجه زير النساء، وإذا نضب سيكون آخر برميل في العراق. لكن ما يبعث على الحيرة والدهشة فعلاً هي اللغة الفصحية الواضحة، والصريحة التي يتفوه بها ممثلو النظام العالمي الجديد ذي القرن الواحد، والذي أقسم بحرمة بيته الأبيض وقدسية ما يمارس فيه من مناسك وطقوس، وبركة كل من طاف حوله، وسجد على عتباته طلباً للصفح والمغفرة، وكل من تتوجه أبصارهم إليه، أن كل من يحاول (عن قصد أو دون قصد) المس بشروط الحصار والعقوبات المفروضة على العراق، سوف يدفع ثمن ذلك غالياً.. وقد أعذر من أنذر.. والعاقبة للمتقين.

ولأجل النفط لابد من السيطرة على المنطقة العربية ونهب ثرواتها وإضعاف مقدراتها وتمزيقها إلى أشلاء. وخلق كنتونات، وأشرطة حدودية أمنية، ومناطق حظر جوّي... الخ لتكون خنادق امامية لإخماد اي نسمة شعبية عربية يمكن أن تهب في هذا الليل العربي الحالك الظلمة بحيث تنبئ ببزوغ فجر جديد.

لقد اضحى المرض سهل التشخيص، والوصفة العلاجية جاهزة للتطبيق!!

واي تمرد على الإرادة الأمريكية، او عداء لإسرائيل، سواء كان بالتصريح او التلميح يعني.. حصاراً.. وإطاحة بالرؤوس، وإفلاساً للخزائن، ووصفات صندوق النقد الدولي جاهزة لذلك.. والعبرة لمن اعتبر..!!

صاحبة الصون والعفاف السيدة أولبرايت تجول في المنطقة والعالم وتملي التعليمات والسيد كوهين يلحق بها أو يسبقها، عارضاً صفقات السلاح الضخمة، بمليارات الدولارات، مروجاً أن العراق يهدّد جيرانه ويشكل خطراً على الأمن والإستقرار في المنطقة والعالم.

إن تهويل الإدارة الأمريكية لقدرات العراق العسكرية واحتفاظه بها وإخفائه لأسلحة الدمار الشامل مقنعة الجميع بالتعاون معها والسماح لها أو الأصح تأييدها باستمرار الهجمات على المنشآت المدنية والعسكرية العراقية، بدعوى أن هذا يصب في مصلحة العراق أولاً ومصلحة الجيران ثانياً والعالم أخيراً، باعتبار ذلك (يمهد لرفع الحصار عن العراق).. إن هذا لهو المسخرة بحد ذاتها.

تُرى لماذا تُدفع هذه البلايين، وشعوبنا تعيش بمعظمها تحت خط الفقر؟! نحارب مَن؟! ونعادي من؟! والتطبيع مع إسرائيل على قدم وساق!! نعم نعادي انفسنا! لا أجمل ولا أروع من السلاح ورصاصه يزغرد متجهاً لصدور أعداء الأمة، كما يفعل رصاص أبطال حزب الله في جنوب لبنان، وسكاكين وحجارة شباب فلسطين، والجولان.

وما أبشع وأقذر هذا السلاح وهو معروض لأخذ الصور التذكارية بجانبه ودفع فواتيره وتوجيهه نحو بعضنا البعض.

العراق رفع صوته في وجه السيد باتلر ولجنة جواسيسه، وقد اتضح دورهم للقاصي والداني، وظهر الدور المناط بهم.. فما هي الخدمات الجليلة التي قدموها (لخدمة الأمن والسلام) في المنطقة والعالم.

صحيح أن العراق فتح حضنه للعلماء العرب المقيمين في الغرب واستفاد من خبراتهم وطور قدراته العسكرية، حتى أضحى يشكل عمقاً استراتيجياً للأمة العربية وهذا منافٍ للأعراف الأمريكية وغير مسموح له في المنطقة باستثناء اسرائيل.

لم يقبل العراق بأي شكل من الأشكال بمباركة التوجهات الأمريكية ومباركة الإتفاقات المعقودة مع إسرائيل، ولا حتى التعامل معها سراً ولا علانية وهذا بدوره يقوّي شوكة المتمردين في المنطقة، وكأنه لايكفي أمريكا بعض الدول العربية التي ترفض دخول بيت الطاعة والولاء.

فلمصلحة من منا التدخل في شؤون العراق، وفرض مناطق حظر على أراضيه وتقديم سيناريوهات بتقسيمه، وتسعير روح العداء الطائفية والقومية فيه تحت ذرائع، حقوق الإنسان وعدم الإنصياع لقرارات الشرعية الدولية؟!

ماذا عن قرارات الشرعية الدولية في جنوب لبنان، الجولان، فلسطين، وحقوق الإنسان فيها؟ لكن أمريكا تفهم حقوق الإنسان بما يتناسب ومصالحها؟! هل يعقل أن يقتل الأطفال والشيوخ والنساء في العراق بوابل الصواريخ الانجلوامريكية وندفع نحن ثمن هذه الأسلحة؟ ونتركهم يموتون جوعاً، ونسمح للمرض بالفتك بهم دون رحمة لعدم توفر الدواء؟! ونلزم شفاهنا امتعاضاً. ماذا عن الشعب الكردي وحقوق الإنسان في تركيا، وحملات الإبادة الجماعية التي تمارس ضده؟!

وهذا ما يفسر لنا التعاون الأمني الأمريكي-الإسرائيلي-التركي.. الدولي ضد مناضل كبير كعبد الله أوجلان!! هل هذا يعني أنه تحذير يطال الأشخاص ولبس الدول؟!!

المضحك المبكي.. أن ردنا على كل هذه الإهانات، وهذا التعالي والإزدراء الذي نُعامل به، جاهز، ولايفوتنا شاردة أو واردة.

تعالوا نتأمل ذلك.. لانستطيع عقد مؤتمر قمة عربية، والمبرر موجود:

العراق، وان عُقد اجتماع، يتم التعبير عن القلق، ومطالبة العراق بالإنصياع الكامل لقرارات الشرعية الدولية.. أهلاً يا شرعية دولية!

بيانات كثيرة تصدر، تصاريح صحفية تشجب، تستنكر، تدين، نعم إننا نجيد الهتافات، والتفوه بالخطب الرنانة الحماسية ونقنع أنفسنا أن هذا هو أضعف الإيمان.

يخطر في بال الأطفال والشيوخ.. والنساء في كل الوطن العربي: ماذا بعد؟! هل سيطول هذا الليل، إلى متى تبقى الأيدي مكبلة، والسيوف في أغمادها متى ترتفع الأصوات من الحناجر التي أصابتها البحة والتلف في أحبالها الصوتية لتصدح.. حيّ على الجهاد.. حيّ على الوحدة.. يحيا العراق.. لنبدأ برفع هذا الحصار الجائر والظالم عن الشعب الشقيق في العراق.. عندها يمكن للكفيف أن يبصر والأصم أن يسمع.

الحدث

اعلان الدولة الفلسطينية

«فلتمهلوا الأرض حتى تقول الحقيقة، كلُ الحقيقة
عنكم وعنا.. وعنا وعنكم»
محمود درويش

عنونت صحيفة ليبراسيون الفرنسية إحدى مقالاتها بأن الدولة الفلسطينية حتمية، وهذا القول يأتي ضمن إطار نقاش واسع حول المسألة، عنوان هذا الإطار هو الرابع من أيار، دولة أم لا دولة؟ هنا مقاربة للجدال الدائر.

لا أسعى هنا - بداية - لتحديد موقف من فكرة إعلان الدولة في الرابع من أيار، فالمسألة ليست من (مع) ومن (ضد)، مع ما يندرج في سياق هذين الموقفين من مواقف فرعية تستدعيها أطراف التناقض، فالإشكال الحقيقي يكمن في مناقشة الفكرة كما هي، مضمونها استهدافاتها، خلفياتها والأهم مرجعيتها القانونية والسياسية.

بين المقاومة والمساومة

أحمد جابر

هل من الممكن إبتداع نتائج خارج السياق العام للأحداث؟

في حال أعلنت الدولة الفلسطينية في الرابع من أيار، فإن هذا الإعلان بافتراض أنه سيكون إعلان (سيادة)، لايكون بحال من الأحوال (كما هو معروف) الأول من نوعه، فقد سبق أن مورس هذا الفعل مرتين وكل منهما في سياق مختلف عن الآخر وربما من المفيد التذكير بالسياقات المعنية ونتائجها.

فقد أعلن استقلال فلسطين للمرة الأولى في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة في الأول من تشرين الأول عام ١٩٤٨، وقد شمل هذا الإعلان أرض فلسطين التاريخية كلها ومضى على «إقامة دولة حرة ديمقراطية ذات سيادة يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم وحقوقهم». جاء هذا الإعلان في سياق صراع محتدم في مواجهة الدولة الإسرائيلية المعلن عنها منذ شهور من جهة، وفي مواجهة ضم الضفة الغربية للاردن وضم غزة للإدارة المصرية.

إن طبيعة الظروف السياسية التي حكمت نشأة حكومة عموم فلسطين، إضافة للصراع على السيطرة على فلسطين وكذلك التناقضات في بنية وطبيعة الحكومة وضعفها الشديد، كل هذه الأسباب كانت كفيلة بإعلان وفاتها المبكر.

وكان على الفلسطينيين أن ينتظروا أربعين عاماً كي يعلنوا دولتهم من جديد، ومن المنفى هذه المرة ولكن في سياق كفاح بطولي من جهة وفي سياق تناقض حقيقي من جهة أخرى. فهو من جهة جاء معبراً عن طموحات الشعب الفلسطيني التي تجسدت في شعار إنتفاضته الباسلة (الحرية والإستقلال)، تعبيراً عن انتقال فكرة الدولة من إمكانية تاريخية إلى إمكانية واقعية، ولكنها من جهة أخرى جاءت لتحول المشروع الكفاحي إلى ورقة مساومات تختصر فيها الدولة إلى جملة من السلوكيات المفتعلة، وهنا كان من الطبيعي ان تجهض الفكرة من جديد، لأن الممارسة السياسية الفلسطينية الرسمية، وبدلاً من تعزيز حوامل الدولة، وتعزيز خيار الكفاح من أجل إكمال تحققها، سارعت إلى نسف الحامل الأساسي لفكرة الدولة أعني الإنتفاضة، الذي كرس وأدها سياقاً جديداً منفصلاً، سياق محادثات مدريد واتفاقية أوسلو وواشنطن وواي بلانتيشن، حيث كرست جملة الإتفاقات المعقودة مع العدو، الإعتراف به كـ (دولة) على التراب (الإسرائيلي) المفترض، (كما وافقت قيادة م. ت.ف الرسمية) هذا الإعتراف قوبل باعتراف اسرائيل بـ م. ت. ف كممثل للشعب الفلسطيني، ولم يحصل الفلسطينيون حتى الآن على اعتراف بحق السيادة على الأرض يوازي اعتراف قيادتهم الرسمية بإسرائيل، وجاءت الإتفاقات لتكرس مساراً تنازلياً وارتهاناً مهيناً، لإرادة العدو وطموحاته، ومستجيباً لبرنامجه وآفاق مشروعه دون أي اعتبار لبرنامج الشعب الفلسطيني ومشروعه هو، وقد أكدت الإتفاقات جميعها وأعيد التأكيد عليها دائماً وخصوصاً في واي ريفر، أن مرحلة ما بعد ٤ أيار لن تكون خاضعة لأي إجراء أحادي الجانب وإنما خاضعة للتفاوض من الجانبين، وهذا الإرتهان، وهذا التعهد المستمر، ما الذي يجعله ينقلب الآن في اللغة الإعلامية الفلسطينية الرسمية إلى تهديد لغوي بإعلان الدولة؟ التجربة تبيح لنا أن نقول أن هذا التهديد لن يتجاوز مستوى السلوك الكلامي، فقد مرت لحظات كثيرة، شُدَّ فيها الوتر الفلسطيني إلى مداه، ولكنه لم يطلق أبداً من الذي يضمن إطلاقه الآن؟

السؤال المطروح إذاً: هل من الممكن أن يؤدي هذا السياق إلى دولة فلسطينية وأي دولة؟ وما شكلها، وما آفاقها؟

الدولة المستقلة
هدف كفاحي للشعب الفلسطيني

الدولة الفلسطينية هدف كفاحي، لا أتحدث هنا عن الرابع من أيار، إنما عن الفكرة بحد



ذاتها، وهي تستمد هذه المكانة في الفكر والضمير الفلسطيني من تاريخ العذاب والدم والبؤس والتشرد. وتاريخ الكفاح. وتاريخية العلاقة بهذه الأرض، كل هذه العناصر التي أعطت الشرعية التاريخية والقانونية للشعب الفلسطيني ليعلن دولته على أرض آبائه وأجداده.

وإذا كانت الدولة هدفاً كفاحياً، فشرطها ليس أن تعزل عن الممارسة النضالية اللازمة لتحقيقها وأن تتحول هي إلى لعبة تكتيكية، ليس أن تبقى فكرة (حلم) معلقة في الهواء، ولكن ألا توضع في خدمة تكتيك يؤدي إلى اتجاه آخر إلى دولة أخرى غير الدولة التي نريد.

شرط الدولة بمعناها الحقيقي هو شرط تحقق العناصر اللازمة لإقامتها فهل تتحقق هذه العناصر في حالتنا الراهنة؟

شروط الإستحقاق

الشروط اللازمة تتحدد في الأرض والسيادة والحامل السياسي والتواصل الإقليمي والحامل الإقتصادي وشرط الحماية والاستمرار.

إن السؤال إذن هو إلى أي مدى تتحقق هذه الشروط في الحالة الفلسطينية، إن الإجابة للأسف تبدأ دائماً ولكل عنصر بكلمات (لايتحقق):

١- لايتحقق شرط الأرض في جغرافيتها ومداها المفتوح وتواصلها، فالشكل النهائي لحالة الأرض بعد اتفاق واي*هو أن ٢٦٪ من الضفة هي مجمل المناطق التي تحت السيطرة الفلسطينية تتضمن منطقتي أ وب أي أنها ليست سيادة كاملة (في ب) وسيضاف إليها ١٣٪ من الضفة كانت ضمن المنطقة ج، ١٪ تضم إلى (أ) و١٢٪ إلى (ب) ولاتعكس الأرقام شيئاً مباشراً ولكن الصدمة ستكون حقيقية وكاملة عند الإطلاع على الخارطة المرافقة لإتفاق واي، حيث المناطق الفلسطينية ليست سوى وبالضبط معازل محاصرة بالإستيطان والطرق الإلتفافية والمناطق الأمنية.

٢- لايتحقق شرط السيادة ضمن المعطيات السابقة حيث أن المناطق في معظمها مازالت تخضع لسلطة مشتركة (مدنية فلسطينية وعسكرية اسرائيلية)، حتى المناطق (أ) ليست سوى معسكرات معزولة، فشرط السيادة يتضمن التواصل الجغرافي وحرية القوة المسلحة والسيطرة على المنافذ والحدود وهذه كلها مفقودة.

٣- لايتحقق شرط التواصل الإقليمي والحديث هنا عن التواصل مع المحيط العربي، فالدولة الفلسطينية المفترضة هي دولة لايمكن لها أن تعيش وتستمر دون محيطها العربي، فيما الكيان الفلسطيني القائم ليس سوى معازل مشتتة ضمن الشبكة العنكبوتية الإسرائيلية، ودولة من هذا النوع محكوم عليها بالموت اختناقاً.

٤- غياب الحامل الإقتصادي، فإضافة إلى الوضع الراهن من اقتصاد مدمر وبنية معطلة بحكم الحصار المستمر المفروض على الأراضي الفلسطينية، والكيان الفلسطيني ليس مرشحاً لأن يكون أكثر من مجرد هامش للمركز الإسرائيلي لتصريف البضائع واستيراد اليد العاملة الرخيصة ومعبر إلى الأسواق العربية.

٥- غياب الحامل السياسي: ونتحدث هنا عن غياب الوحدة الوطنية وشرط الوحدة أن ترتقي الدولة بآمال الشعب وتحقق مصالحه وأن تحقق له دولة حقيقية وليس مجرد كيان من ورق مثقب، كالجبنة السويسرية على حد تعبير السيد عرفات نفسه في مفارقة غريبة.

وفي ظل هذه الظروف عن أي دولة يتحدثون؟

هل الرابع من أيار يوم مقدس؟!

يحيلنا السؤال أعلاه إلى اللغة المستخدمة أولاً، فمن أين يستمد هذا اليوم قداسته؟ هل يستمده من سياق أوسلو - واشنطن وواي ريفر؟

إن اللغة المستخدمة لغة مخادعة، تعمد إلى استفزاز مشاعر الناس وعواطفهم لدفعهم للإلتفاف وراء حلم لايتحقق بلغة وهمية وإنما يشترط فعلاً تغييراً، يعيد تشكيل السياق العام لأفعال الأطراف، وهذا يشترط إحداث تغيير جذري في موازين القوى، وهذا يشترط أيضاً إعادة الإعتبار للشرط الكفاحي في تحقيق الدولة، باعتبار الإعلان ليس مجرد مهمة سياسية تتحدد كلاماً، فقد فعلناها في الجزائر، وإنما هو تجسيد سياسي مجتمعي اقتصادي ثقافي وجغرافي متكامل لكيان الدولة المأمولة.

وبالتالي فالرابع من أيار ليس يوماً مقدساً لأنه يحيل إلى الخدعة والتلفيق، أما الدولة فهي مهمة مقدسة لأنها تحيل إلى إرادة الكفاح الشعبي العارم على امتداد قرن من الزمان ولكنها مشروطة بحواملها التي سبق وتحدثنا عنها.

الدولة مهمة كفاحية وهدف لمجموع أبناء الشعب الفلسطيني تستلزم مزيداً من العمل والكفاح تمهيداً لتغير السياق كله، وإعادة تشكيله لتحويل الدولة من إمكانية تاريخية وحلم مشروع إلى واقع محقق بشروطه الكاملة ■■

قضية اللاجئين والتسوية السياسية

عبد الرحيم ملوح

عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

مدخل:

قضية التهجير الفلسطيني القسري والمنظم الناجم عن الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية إثر عدوان ١٩٤٨، مازالت تشكل القضية الأكثر تعقيداً وسخونة على المستوى الاقليمي والدولي، باعتبارها قضية شعب شرد من وطنه ودياره بقوة السلاح وقذف به ببربرية ووحشية إلى المنافي. وباتت هذه القضية، أقدم قضية لجوء في القرن العشرين دون أن تجد حلها المناسب كقضية سياسية وطنية بالأساس.

والسؤال الكبير - بل التحدي - الأكبر أمام المجتمع الدولي ومؤسسات الشرعية الدولية هو لماذا عجزت الارادة الدولية طيلة الخمسين سنة الماضية، عن إلزام اسرائيل باعتبارها المسؤول عن هذه الكارثة الانسانية والوطنية، باعادة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم ووطنهم الأم. علماً بأنها أقرت بضرورة عودتهم استناداً للقرار ١٩٤ وقرارات عديدة لاحقة؟ هل هو عجز أم تواطؤ خفي؟

ومجدداً ومع انطلاق عملية التسوية في مدريد أواخر العام ١٩٩١، عادت الأضواء لتسلط على قضية اللاجئين الفلسطينيين ارتباطاً بالتسوية المطروحة، والملاحظ ان التوجه الدولي الذي صاغ أسس التسوية الجارية، لم يأخذ الوجهة الصحيحة وعن وعي مسبق أي تطبيق قرارات الشرعية الدولية، بل سار باتجاه البحث عن حلول في إطار التوطين والتجنيس والتعويض، وإنهاء خدمات ووظائف وكالة الغوث، هذه التوجهات خدمت عملياً الرؤية الاسرائيلية على حساب القانون الدولي والشرعية الدولية، وبالتالي على حساب الشعب الفلسطيني، وأغفلت ان العودة للشعب الفلسطيني ليست مسألة عقار يمكن بيعه والتعويض عنه، بل قضية وطن لايمكن التخلي عنه قبل كل شيء.

ويصعب تصور قيام سلام في المنطقة، مادام الطرف الاسرائيلي الذي تسبب احتلاله وعدوانيته العسكرية والسياسية في تشريد الشعب الفلسطيني، مصراً على روايته القديمة، ويرفض بإصرار الاقرار بمسؤوليته الأخلاقية والسياسية، عن تشريد الشعب الفلسطيني واحتلال أرضه ومصادرة ممتلكاته، في الوقت الذي يسمح فيه لليهودي بالعودة إلى فلسطين، وبالحصول على الجنسية الاسرائيلية وبالاستيطان ومصادرة الأرض الفلسطينية، بمعزل عن موطنه وعرقه وجنسيته استناداً لقانون العودة اليهودي.

ولا يبدو غريباً القول ان التسوية السياسية، في ظل عدم الاقرار بشرعية عودة اللاجئين والبدء بتنفيذها كجزء من ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير مصيره، ستبقى قاصرة، قد تفرض سلاماً بالقوة، تحقيقاً لرغبة ورؤية الأطراف الدولية النافذة ووفقاً لمصالحها، ولكن هذا السلام سيبقى هشاً ومعرضاً للانهيار أمام الأزمات التي ستنشأ دون شك، بسبب استبدال المعايير والمرجعيات الدولية بمعايير القوة الاسرائيلية المدعومة أمريكياً، وبالتالي تغييب الحلول القابلة للاستقرار والتي تتضمن حقوق الشعب الفلسطيني بالعودة لوطنه، وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

قضية اللاجئين: النشأة والجذور

في محاولة لدرء المسؤولية التاريخية عن طرد الفلسطينيين من أرضهم وديارهم، أشاع الاسرائيليون روايتهم المغرضة بأن الفلسطينيين خرجوا من ديارهم برغبتهم وارادتهم، ووفقاً لهذه الرواية فلا يوجد أي سبب يدعو أو يلزم اسرائيل بالموافقة على اعادتهم. وهذه المغالطة التاريخية لم تستطع ان تقنع العالم بما في ذلك جزء من الاسرائيليين أنفسهم.

فخلال خمسين السنة الماضية من عمر النكبة الفلسطينية، كُشف النقاب عن الكثير من الدراسات والوثائق الاسرائيلية التي تدحض هذه المزاعم وتُظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن فكرة «الترانسفير» وترحيل الفلسطينيين من أرضهم وُلدت وتأصلت لدى قادة اسرائيل قبل طردهم عملياً بسنوات عديدة، وقد تلمس الفلسطينيون هذه السياسة وعبروا عن مخاوفهم منها ارتباطاً بواقع الاستعدادات العسكرية للمنظمات الصهيونية (ليحي، ايتسل، والهاغاناه) كتنظيمات مسلحة غير معلن عنها رسمياً، إضافة إلى تزايد موجات المستوطنين القادمين إلى فلسطين[1].

ويوضح الكاتب والمؤرخ الاسرائيلي بني موروويس تطور فكرة «الترانسفير» لدى «بن غوريون» حيث جاء في حديثه تعقيباً على «لجنة بيل» عام ١٩٣٧ مايلي: «إن مبدأ الترحيل القسري للعرب من المناطق المقترحة (الدولة اليهودية) قد يمنحنا شيئاً لم يسبق ان كان لنا حتى عندما كنا نملك زمام أنفسنا ولا حتى في عهد الهيكل الأول ولا في عهد الهيكل الثاني»[2] ويضيف «بني موريس» وكانت الخطوة الأولى وربما الحاسمة في نظر «بن غوريون» هي اعداد أنفسنا لتنفيذ مبدأ الترحيل لإدراكه ان العرب لن يوافقوا على التخلي عن أرضهم بمحض ارادتهم، لذلك سيضطرهم إلى ذلك بالقوة، وهذا ما أوضحه في رسالة لابنه عموس بالقول «لن نستطيع تحمل بقاء مساحات واسعة في الأرض غير مأهولة يمكنها استيعاب عشرات الآلاف من اليهود خالية، لسنا مضطرين لطرد العرب واحتلال أرضهم وهي كافية لنا ولهم، ولكن إذا اضطررنا لاستخدام القوة من أجل ضمان حقنا في الاستيطان هناك ستتوفر لنا القوة لذلك»[3].

ومع اعلان دولة اسرائيل قامت المنظمات الصهيونية ممثلة بالهاغاناه وايتسل وليحي وغيرها بشن هجمات على القرى والمدن الفلسطينية، وتم تدمير ما يقرب من ١١٨ قرية وبلدة وطرد سكانها ومنعوا من العودة إليها وارتُكبت العديد من المجازر الجماعية خلالها كمذبحة دير ياسين، واستمرت هذه العملية منذ ١٩٤٨-١٩٥١ وهناك من المؤرخين من يؤكد انها استمرت متواصلة حتى العام ١٩٥٣ وكما يقول باروخ كيمرلنغ: (قد لايوجد مستوطنة أو حي في إسرائيل إلا وتختفي تحته أو تحتها على عمق طبقة واحدة فقط، قرية عربية، أرضها في نظر سكانها هي وطنهم منذ أجيال (مجلة دراسات فلسطينية عدد ٣٦.

ونتيجة هذه العمليات تم تشريد ما يزيد عن «٨١٠ آلاف فلسطيني حسب التقرير الرسمي البريطاني، وحوالي ٩٥٧ ألف فلسطيني حسب تقرير الأمم المتحدة»[4] ومنذ ذلك الوقت ولد ما أصبح يُعرف بقضية اللاجئين الفلسطينيين، الذين أُخرجوا من ديارهم بالقوة واستقروا في مخيمات اللجوء سواء في باقي فلسطين أو في الدول العربية المحيطة (الاردن، لبنان، سوريا).

ولم يقتصر التهجير على من غادروا فلسطين المحتلة، بل ان هنالك داخل اسرائيل اعداداً كبيرة من المهجرين، ويصل عددهم ما يقرب من مائتي ألف فلسطيني، ممنوع عليهم العودة لقراهم وبيوتهم، وماساة قريتي اقرت وكفر برعم مثال على حال هؤلاء، رغم انهم يحملون الجنسية الاسرائيلية.

حرب ١٩٦٧؟ وترحيل المزيد

ولم يكد الشعب الفلسطيني يستجمع قواه، ويخرج من هول صدمة اللجوء وويلاته، حتى استكملت اسرائيل عدوانها واحتلت باقي الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧، لتصبح كل الأراضي الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي. ونتيجة هذه الحرب تم ترحيل ما بين ٣٥٠-٤٠٠ ألف فلسطيني مجدداً إلى الأردن ومصر وسوريا ولم يقتصر الأمر على هذا العدد فقط، فاستمرت عمليات التهجير تحت أساليب مختلفة مثل سحب الهويات والتصاريح ومنع العودة.. ونسبة ٤٠٪ من هؤلاء كانوا لاجئين منذ العام ١٩٤٨ ويقيمون في المخيمات في الضفة وغزة، وبهذا أصبح أكثر من نصف الشعب الفلسطيني مشتتاً خارج أرضه ووطنه.

ومنذ ذلك التاريخ بات لدينا قضيتان قضية اللاجئين وقضية النازحين، ولكنهما في الجوهر قضية واحدة، وهي تشريد الشعب الفلسطيني من وطنه وحقه بالعودة إليه.

تعداد اللاجئين وتوزيعهم الجغرافي:

نشير بداية ان هناك اشكالية في تعداد الشعب الفلسطيني، وتعداد اللاجئين، بسبب استمرار عملية التهجير المنظم وأخذها أشكالاً مختلفة، ولغياب مصادر الاحصاء الدقيقة، وغياب البنية المعلوماتية الكاملة لدى أي طرف بما في ذلك الطرف الفلسطيني نتيجة واقع الشتات والتوزع.. وحسب احصائية أصدرتها وكالة الغوث (الاونروا) في العام ١٩٩٥ أشارت ان لديها ٣,٠٩٣,٠٠٠ لاجئ فلسطيني موزعون على مناطق عملياتها على الشكل التالي: ٣٠٪ في الأردن، ٣٨٪ في الضفة الغربية وقطاع غزة، و١٠٪ في لبنان[٥] ولم تدخل الأونروا في سجلاتها اللاجئين الفلسطينيين في كل من (مصر، دول الخليج، ليبيا، العراق، العالم) باعتبارها خارج نطاق عملها، وهناك مشكلة أخرى تتعلق بتوقف الوكالة عن إضافة المواليد الجدد لأرقامها منذ بدء العملية السياسية الجارية، وحسب العديد من الباحثين فالعدد الآن يتجاوز هذا الرقم كثيراً.

مؤشرات حول الواقع الاجتماعي والاقتصادي للاجئين

شكلت المخيمات الفلسطينية أحزمة فقر دائمة في محيط المدن الفلسطينية والعربية التي أقيمت حولها، وخلال الخمسين عاماً لم تراع الخدمات والحدود الجغرافية المحددة للمخيمات واقع الزيادة الطبيعية للسكان، مما زاد الأمر سوءاً وتفاقماً على مختلف المستويات، وهنا نسوق بعض المعطيات للتدليل على الوضع غير الانساني للاجئين:

مخيمات لبنان: الاكتظاظ الكبير داخل المنزل الواحد المحدد ب ٨٠م مربع حيث يسكن ٤-٥ أفراد في الغرفة الواحدة- والتمييز الشامل في التوظيف حيث يحرم الفلسطيني من العمل بـ٧٥ مهنة / ونسبة التسرب العالية من المدارس بسبب العوز والحاجة / ولقي ٣٠-٤٠ ألف حتفهم جراء الحرب الأهلية والحروب الاسرائيلية / وهناك ٦٠٪ لا يزالون يسكنون في السكن المخصص لهم من الوكالة[٥].

مخيمات الضفة الغربية:

أجريت العديد من الدراسات الفلسطينية والأوروبية (الدراسة النرويجية) وكلها تشير للتالي:

الاكتظاظ في السكن (ثلاثة أفراد في الغرفة الواحدة)، نقص الخدمات، عدم توفر بنية تحتية ملائمة نسبة اضطراب نفسي عالية ونقص في الصفوف والاكتظاظ بها ٣٥-٤٥ في الشعبة / وهناك ٦٤٪ من المدارس يعمل بنظام الدفعتين. وتزايد نسبة البطالة في مخيمات اللجوء / ٥٠٪ في الضفة وغزة كمتوسط / ٦٠٪ لبنان / ١٠٪ سوريا / ١٩٪ الاردن[٦]. ويشير الان غريتش في بحث له في صحيفة لوندند وبيلوماتيك، نقلته صحيفة الدستور الأردنية بتاريخ ١٩٩٩/١/١٣ إلى أرقام أكثر ماساوية في مدارس الأونروا ينتظم الطلبة في فترتين صباحية ومسائية، ويتم تحويل ذلك في سوريا إلى ثلاث فترات وفي أكثر مدارس الأونروا التي تعد ٦٥٠ مدرسة يبلغ عدد الطلاب في الصف الواحد ٤٤-٤٨ طالباً غير أن المعدل ينخفض في لبنان لأن معدل النجاح في الإعدادية ينقص عن ٥٠٪.

قضية اللاجئين
من منظور الشرعية الدولية:

أصدرت الأمم المتحدة العديد من القرارات التي تؤكد على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم، كما ان الاعلان العالمي لحقوق الانسان، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية واتفاقية جنيف الرابعة، أكدت على حق الانسان في مغادرة بلده وفي التنقل داخله بحرية وفي العودة إليه وأكد هذا د. مروان رئيس الوفد الأردني بالمفاوضات المتعددة حول قضية اللاجئين، في حديث لانترميديا نشرته القدس المقدسية بتاريخ ١٩٩٩/١/١٥، حيث قال: «ان الوفد الأردني المفاوض عمل على المحافظة على القضية ضمن القانون الدولي، واستشار فقهاء القانون الدولي، فقيل لنا أنه يشمل فيما يشمل معاهدة جنيف بعد الحرب العالمية الثانية، وكل قرارات مجلس الأمن، وكل هذا يشكل مظلة القانون الدولي، وأنا لا أفاوض إلا على هذه المبادئ، أي أن يعود الفلسطيني الحيفاوي إلى حيفا، وكذلك باقي المدن الفلسطينية، هذا هو الأساس الذي أفاوض عليه». وفيما يلي اشارة لبعض القرارات الدولية المتعلقة بقضية اللاجئين الفلسطينيين:

١- البند ١١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ ينص القرار على «تقرر السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل منقول أو مصاب بضرر، عندما يكون من الواجب، وفقاً لمبادىء القانون الدولي والانصاف، ان يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة. وتصدر تعليمات إلى لجنة التوفيق بتسهيل اعادة اللاجئين وتوطينهم من جديد واعادة تأهيلهم الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك دفع التعويضات ومن خلال الهيئات والوكالات المتخصصة المناسبة في منظمة الأمم المتحدة».

٢- حين قدمت اسرائيل طلباً للانتساب إلى الأمم المتحدة أخذت الجمعية العامة هذا بعين الاعتبار فجعلت قبول الطلب مرتبطاً بالتعهد الذي أعلنته اسرائيل بشأن التزامها تنفيذ القرارين ١٨١ الخاص بالتقسيم و١٩٤ الخاص بالعودة. حيث جاء في قرار الجمعية العامة رقم ٢٧٣-٣ الصادر في ١٩٤٩/٥/١١ مايلي: «أخذاً بعين الاعتبار بيان دولة اسرائيل بشأن قبولها الالتزام بميثاق الأمم المتحدة وتعهداتها بتنفيذ هذه الالتزامات منذ أن تصبح عضواً في هيئة الأمم المتحدة»، وبناء على القرارين بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وبتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ونظراً للبيانات والتفسيرات التي قدمها مندوب حكومة اسرائيل في اللجنة السياسية بصدد تنفيذ القرارين المذكورين، وفي ضوء ذلك قررت الجمعية العامة قبول اسرائيل في عضوية هيئة الأمم المتحدة.

٣- قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٧ بتاريخ ٦/١٤/ ١٩٦٧ والذي ينص: «دعوة اسرائيل إلى احترام حقوق الانسان في المناطق التي تأثرت بصراع الشرق الأوسط ١٩٦٧» ويدعو حكومة اسرائيل إلى تأمين سلامة وخير وأمن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية وتسهيل عودة أولئك الذين فروا من هذه المناطق منذ نشوب القتال».

٤- قرار الجمعية العامة (٢٤٥٢) د - ٢٣ بتاريخ ١٩٦٨/١٢/١٩ والذي يؤكد على تطبيق قراري ١٩٤ و٢٣٧.

٥- قرار الجمعية العامة رقم (٣٠٨٩) في ٧/ ١٩٧٣/١٢ على أساس الحق الثابت في العودة وأعلنت فيه أن تمتع اللاجئين الفلسطينيين بحقهم في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم لا غنى عنه من أجل تحقيق تسوية عادلة لقضية اللاجئين

وممارسة شعب فلسطين حقه في تقرير مصيره.

٦ـ قرار الجمعية العامة رقم (٣٢٣٦) الفقرة ٢ الدورة ٢٩ الصادر في ١٩٧١/١١/١٢ نص على ان الجمعية العامة «تؤكد من جديد أيضاً حق الفلسطينيين غير قابل للتصرف في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها واقتلعوا منها وتطالب باعادتهم».

٧ـ أكدت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في القرار (٢٨/٢٣) (د ـ٣٣) بتاريخ ١٢/٧/ ١٩٧٨ انه لا يمكن اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط دون أن يتحقق نيل الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة ومنها الحق في العودة(٥).

ومن الجدير بالملاحظة ان هذه القرارات جميعها بقيت قرارات تفتقد لآليات محددة للتنفيذ، وبدون توفر ارادة سياسية لدى المؤسسات صاحبة القرارات أو الدول المقررة في السياسة الدولية. والملفت للنظر: ان الولايات المتحدة جندت كل العالم والشرعية الدولية، لاخراج العراق من الكويت ولفرض الحصار عليه، ولكنها تصمت صمت القبور وتبحث عن مبررات ومنافذ لتهرب اسرائيل التي احتلت الأرض الفلسطينية منذ خمسين عاماً، وتتنكر لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية الثابتة والمشروعة والتي أقرت بها مؤسسات الشرعية الدولية والقانون الدولي.. وهذه السياسة المزدوجة في معاييرها، تكشف عدم مصداقية بل وانحياز الادارات الأمريكية وسياساتها ودورها في عملية السلام، لأنها مازالت تنطلق من المعايير المزدوجة وتقدم الغطاء والدعم، لخرق اسرائيل الفاضح لكل مقررات الشرعية الدولية ولمصادرة حقوق الشعب الفلسطيني واحتلال أرضه، ولاحتلال أراضي سورية ولبنان.

قضية اللاجئين
من منظور التسوية الراهنة

لقد طرحت قضية اللاجئين للبحث مجدداً مع بدء العملية السياسية الجارية منذ مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، وما تلاه من اتفاقات ثنائية فلسطينية اسرائيلية (أوسلو ـ ٩٣ ـ واردنية اسرائيلية ـ وادي عربة ٩٤) وأخذت القضية الوطنية بشكل عام وقضية اللاجئين بشكل خاص مسارات خطرة فيها الكثير من المأزق لاستناد المفاوضات على أساس مرجعيات فضفاضة وغير ملزمة، وبعيداً عن الشرعية الدولية ومؤسساتها ومرجعياتها. هذا هو الإطار العام الذي حكم المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية. ففي مؤتمر مدريد، تم وضع قضية اللاجئين في مسار المفاوضات المتعددة الأطراف، وشكلت لها لجنة خاصة برئاسة كندا، والهدف من هذا في أهم جوانبه، محاولة تهميشها كقضية وطنية فلسطينية، وجزء لا يتجزأ من الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، بل هي وتقرير المصير والاستقلال جوهره كله. حتى أن الباحث الإسرائيلي باروخ كيمرلنغ قال: «ان العودة هي لب الهوية الفلسطينية، والفلسطينيون من غير اللاجئين يعتبرونها شرطاً لامفر منه لتسوية الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وهذا الموضوع الوحيد الذي تبلور بشانه اجماع فلسطيني قومي شامل» مجلة دراسات فلسطينية عدد٣٦. ولاحقاً في مدريد، تم تأجيل بحثها وترحيلها للقضايا النهائية مع قضايا: القدس والمستوطنات والحدود والسيادة الوطنية.

الرؤية الاسرائيلية بشأن قضية اللاجئين

الاطار العام الذي وُضعت فيه المفاوضات بمدريد عموماً وحول قضية اللاجئين خصوصاً جاء على أرضية اقرب ما تكون سياسياً للرغبة الاسرائيلية، حيث وضعت فيه ضمن المسار المتعدد الأطراف. وشكلت لقضية النازحين لجنة رباعية (مصر، الاردن، فلسطين، اسرائيل) ولم تتمكن من الإتفاق لحد الآن على تعريف من هو النازح، حيث عطلت اسرائيل عمل لجنة اللاجئين في المتعدد الأطراف ولجنة النازحين الرباعية، ودفعت الأمور باتجاه البحث عن تقديم حلول حياتية وانسانية، بهدف استبعاد كونها قضية سياسية وطنية للشعب الفلسطيني، ولها مرجعيات دولية يجب التقيد بها، وأصبح حالها حال من يعالج مرض السرطان بحبة اسبرين، وتلا ذلك في أوسلو، تأجيل بحثها إلى المرحلة النهائية، وفرضت اسرائيل عملياً تأجيل بحث قضية النازحين في المرحلة الإنتقالية. وملخص الموقف الاسرائيلي يمكن اجماله في التالي:

الرفض المطلق لحق اللاجئين بالعودة، مع استعداد بعض الاتجاهات الرسمية الاسرائيلية، للسماح بعودة عدد محدود لا يتجاوز عشرات الآلاف في إطار برنامج لم شمل العائلات، وبلورة سياسة عملية لتوطين اللاجئين والنازحين. وهذا الموقف يشكل امتداداً للسياسة الاسرائيلية الثابتة منذ العام ١٩٤٨. وسنتعرض بشكل سريع وموجز لتجليات هذه الرؤية:

١ـ رفض العودة:

في ١٩٤٨/٦/٥م التقى يوسف فايتس مدير الصندوق القومي اليهودي آنذاك، «دافيد بن غوريون» أول رئيس وزراء إسرائيلي واقترح عليه خطة تحول دون عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وعلى خلق حقائق تعمل على استحالة عودة اللاجئين وتشتمل على:

١ـ تدمير أكبر عدد ممكن من القرى العربية بعمليات عسكرية (دمرت ٤١٨ قرية).

٢ـ منع العرب من العمل في أراضيهم المهجورة بما في ذلك الزراعة والحصاد.

٣ـ الحؤول دون قيام فراغ بجعل اليهود يستوطنون في عدد من المدن والقرى العربية المهجورة.

٤ـ اصدار قوانين تمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين.

٥ـ حملة دعائية تمنع عودة اللاجئين.

٦ـ مساعدة الدول العربية في استيعابهم.

وقد وافق بن غوريون على الخطة باستثناء البند الأخير الذي لم يكن آنذاك على سلم أولوياته(٩).

وفي نفس السياق رفض موشيه شريت (شرتوك) أول وزير خارجية اسرائيلي توصيات الكونت برنادوت عام ١٩٤٨ المتعلقة بعودة اللاجئين إلى ديارهم، وبعد أشهر قليلة اغتيل برنادوت في فلسطين من قبل جماعة شتيرن الارهابية التي كان يتزعمها اسحق شامير رئيس وزراء اسرائيل الأسبق(١٥).

٢ـ التوطين خارج حدود فلسطين

ولتعزيز الرفض الاسرائيلي ونقل المسألة للبحث في اطارات بعيدة عن حق العودة سعى الطرف الاسرائيلي إلى توطين اللاجئين عبر خطط وبرامج ومشاريع أبرزها:

أ ـ أثناء محادثات لوزان عام ١٩٤٨ طرح الوفد الاسرائيلي بأن يتم اعادة ١٠٠ ألف لاجيء فلسطيني إلى داخل اسرائيل بشرط ربط هذه الدعوة بالتسوية العامة، وما تبقى يتم توطينهم في العراق.

ب ـ في أعوام ١٩٥٠ـ١٩٥٨ طرح توطين اللاجئين الفلسطينيين في ليبيا والصومال وبشكل خاص في ليبيا وجرت اتصالات مع الايطاليين الذين كانوا يحتلون ليبيا ومع السنوسي حاكم ليبيا في حينه.

ج ـ في عام ١٩٥٦ طرح توطين جزء من اللاجئين في الضفة الغربية وجزء آخر في منطقة العريش المصرية.

د ـ في عام ١٩٥٦ طرح ليفي اشكول (رئيس وزراء اسرائيل آنذاك) ان يتم منح اسرائيل حرية التبادل التجاري مع الدول العربية مقابل مساهمتها بتوطين اللاجئين.

هـ ـ في عام ١٩٦٨ تقدم ابا ايبان باقتراح عقد مؤتمر سلام لمساعدة اللاجئين وتوطينهم.

و ـ وفي عام ١٩٧٢ اقترح ايغال الون تطوير خطة اقتصادية شاملة لحل مشكلة اللاجئين عبر اقامة مستوطنات نموذجية لهم دون أن يحدد مكانها.

ز ـ في أعوام ٦٧ـ٦٩ـ١٩٧٦ تقدم رعنان فايتس رئيس الوكالة اليهودية باقتراح لتوطين لاجئي غزة في الضفة الغربية والعريش ووافق عليها موشيه ديان واسرائيل جاليلي(١١).

ح ـ في ١٩٨٢ تم تشكيل لجنة وزارية برئاسة مردخاي بن بورات، للنظر في قضايا اللاجئين وجاءت هذه اللجنة بأوفى الخطط تفصيلاً، لدمج لاجئي الضفة وغزة في المدن المجاورة عن طريق نقل ٢٥٠ ألف لاجئ من مخيماتهم. وقدرت اسرائيل تكلفة المشروع بمليارى دولار تقريباً، وقالت انه يتوجب جمعها من الولايات المتحدة

والدول الأوروبية[١٢].

ط ـ وفي العام ١٩٨٩ دعا رئيس الحكومة الاسرائيلية اسحق شامير إلى عقد مؤتمر دولي لحل مسألة اللاجئين، وصرح ان اسرائيل ستساهم في هذا المشروع بالخبرة والأفكار وان الأسرة الدولية والولايات المتحدة والدول العربية ستقوم بتمويله، وهذا يشبه إلى حد كبير ما طرحه موشيه ارنس واسحق رابين[١٣].

الموقف الاسرائيلي بعد اتفاق أوسلو:

في العام ١٩٩٤ ما بين تشرين ثاني وكانون أول نشرت الحكومة الاسرائيلية وثيقة رسمية حول مسألة اللاجئين توجز مواقفها المعروفة التي كررتها مراراً منذ العام ١٩٤٨ جاء فيها:

١ـ ان مسألة لاجئي ١٩٤٨ كانت من صنع الدول العربية المجاورة.

٢ـ ان نحو ٦٠٠ ألف لاجئ يهودي اضطروا في بداية الخمسينيات إلى الهرب من الدول العربية وطلب الحماية من اسرائيل.

٣ـ ان عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا في حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧ هو أقل كثيراً مما زعم الجانب العربي وبالنسبة إلى الاحصاءات الاسرائيلية فإن حوالي ٥٤٠ ألف فلسطيني أصبحوا لاجئين سنة ١٩٤٨.

٤ـ ان تعريف اللاجئ وفق قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ كان غير دقيق ومختلفاً عن التعريفات القانونية الدولية الأخرى لماهية اللاجئ، فمثلاً كان بيان حقوق الانسان الدولي سنة ١٩٤٨ والميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة ١٩٦٦ مرتبطين بالأفراد لا بمجموعة نازحة. وشددت الوثيقة الاسرائيلية على انه وفقاً للوثائق الدولية نفسها فإن حق العودة ملك للمواطنين، أو على الأقل ملك للمقيمين اقامة دائمة بالدولة، ولم يكن اللاجئون الفلسطينيون قط مواطنين، أو مقيمين اقامة دائمة باسرائيل، وقد هربوا إما قبل انشائها واما قبل أن تصبح المناطق التي اقاموا بها تحت السيطرة الاسرائيلية عامي ٤٨ أو ٦٧. واشتملت الوثيقة على بيان «لبن غوريون» حدد فيه سياسة اسرائيل من اللاجئين سبق وتعرضنا لها[١٤].

وامعاناً في وجهة النظر الاسرائيلية المتنكرة لحق العودة كرر العديد من الرسميين وغير الرسميين وجهات نظر ومواقف تستهدف تبرير الموقف الاسرائيلي وتمريره.

وقال رئيس الوفد الاسرائيلي للجنة اللاجئين في المفاوضات المتعددة الأطراف عام ١٩٩٢: «ان القول بأن مسألة اللاجئين الفلسطينيين كانت نتيجة طرد جماعي محض افتراء وولدت حين جزئت الأرض بالسيف إلى يهودية وعربية لا بمقتضى خطة وكان ذلك أساساً نتيجة حتمية للمخاوف العربية واليهودية والنزاع المر اللاحق»[١٥].

وعلق اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق، على حق العودة في مقابلة مع هآرتس تموز/ يوليو ١٩٩٤ / بالقول: «ان تعبير حق العودة فارغ المضمون ولا معنى له ولن يحدث ذلك أبداً بأي طريقة او صورة أو شكل. هناك فقط حق يهودي في العودة إلى أرض اسرائيل».

وحين افتتحت مفاوضات الوضع النهائي في أيار ٩٦ لم تشمل ملاحظات المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية اوري سافير على أي ذكر للاجئين، وامتنع محمود عباس في كلمته عن ذكر اللاجئين كذلك.

لقد لخص عدد من الباحثين الاسرائيليين الذين عالجوا مسألة اللاجئين من وجهة النظر السياسية الاسرائيلية بأن القرار ١٩٤ الصادر عن الجمعية العمومية في ١١/١٢/١٩٤٨ لا مسوغ له في القانون الدولي ولا ينطوي على تفسير الفلسطينيين له ويجب رفضه لأنه يعني القضاء على اسرائيل. ولفت النظر التقرير الذي كتبه شلومو غازيت مسؤول سابق للاستخبارات العسكرية الاسرائيلية ومقرب من اسحق رابين وعين مستشاراً للوفد الاسرائيلي في المفاوضات المتعددة حول اللاجئين، وأبرز ما تضمنه التالي: «موقف اسرائيل واضح جداً: «يجب ان لا يمنح حق العودة على الاطلاق وفي أي ظرف كان». وإذا سمحت اسرائيل بعودة عدد محدود من اللاجئين فلا يحق للفلسطينيين تحديد عدد اللاجئين أو أنماط عودتهم، ان معيار العودة انساني بحت (...) وانتقد أرقام وكالة الغوث حول أعداد اللاجئين مطالباً بتخفيضها ١٤٪ لأنه مبالغ بها.

واعتبر ان الفلسطينيين في لبنان وحدهم الذين بحاجة إلى مساعدة، بينما اللاجئون في الاردن وسوريا مندمجون إلى حد ما بالمجتمعات المضيفة، وفي الضفة وغزة مستوعبون في الاقتصاد المحلي. ويخلص للقول «ما من شك انه سيكون من الخطر على اسرائيل أن تتيح للاجئين حرية الخيار بين تحقيق حقهم في العودة إلى اسرائيل وبين عودتهم الفعلية إلى دولة فلسطين في المستقبل مع تعويض ملائم»[١٦].

ويحدد موقف اسرائيل بضرورة حل قضية اللاجئين بكل تشعباتها، من خلال فرض عدة مطالب على الفلسطينيين أهمها: ١) على الفلسطينيين والسلطة الفلسطينية اصدار بيان يتخلون فيه عن حق العودة. ٢) انهاء عمليات الاونروا في الضفة والقطاع. ٣) الغاء الوضع الخاص للاجئين. ٤) استيعاب اللاجئين في الضفة وغزة وتأهيلهم ويطالب السلطة بسن قانون حق عودة فلسطيني يعطي الحق للفلسطيني في الشتات بالعودة إلى الكيان الفلسطيني والحصول على جنسية فلسطينية.

هـ ـ ولاسترضاء اللاجئين الذين لن يحظوا بحق العودة إلى اسرائيل يقترح غازيت ان تصدر اسرائيل «قراراً أخلاقياً ونفسانياً» يعترف بعذاب الفلسطينيين عن الأعوام الخمسين الماضية ويقترح على اسرائيل فعل هذا تجنباً لادانتها وفي حال عدم تمكنها مباشرة «ان يصبح جزءاً من قرار دولي أشبه بقرار جديد صادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة تؤيده اسرائيل ويكون بمثابة اتفاق إسرائيلي فلسطيني جديد يسجل مكان البند ١١ من القرار ١٩٤ الذي يشكل الآن أساس المطالب الفلسطينية».

وامعاناً في سياسة التجويف والتسويف، فقد تقدم الاسرائيليون بخطة اعتراضية لمسألة التعويض الواردة في القرار ١٩٤، بالمطالبة بتعويض المهاجرين اليهود الذين هاجروا من البلدان العربية، وقد طرح الوفد الاسرائيلي في الاجتماعات المتعددة في أتاوا ـ كندا ضرورة التعويض عن لاجئين يهود ولاجئين آخرين. وفي اجتماع لشبونة التوجيهي في أيار ١٩٩٢ حاول الأمريكيون توسيع نطاق لجنة العمل الخاصة باللاجئين لتضم لاجئين غير فلسطينيين بمن فيهم أكراد وأرمن، وحاول الاسرائيليون التلميح بأن اللاجئين الفلسطينيين استبدلوا بموجة اللاجئين اليهود من شمال افريقيا واليمن والعراق ودول عربية أخرى واستندوا في موقفهم إلى زعم مبكر للتعويض تبناه بن غوريون عام ١٩٤٨ «مسألة اللاجئين ستعرض لحل ايجابي على تسوية عامة وبالنظر إلى مطالبنا المضادة فيما يختص بتدمير الحياة والملكية اليهودية»[١٧].

خلاصة الموقف الاسرائيلي من قضية اللاجئين والنازحين، هو عدم الاعتراف بحقهم بالعودة لوطنهم، وبمسؤولية اسرائيل السياسية والأخلاقية عن تهجيرهم، ومع الاستعداد للبحث عن حلول لتوطينهم خارج فلسطين، مع التعويض المتساوي لهم ولليهود الذين غادروا الدول العربية إلى فلسطين حقاًوتشترط أن لايكون التعويض فردياً بل جماعياً، وتذرع بشتى الأسباب لذلك. لكن جوهر الأمر يكمن في عدم اعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني بوطنه فلسطين وبحقه في تقرير مصيره وبناء دولته المستقلة عليها. لأن الفكرة الصهيونية والتوراتية تقوم على اعتبار:

فلسطين وأجزاء أخرى من الوطن العربي هي «أرض الأجداد»، والتذرع بالأمن الاسرائيلي والخطر الديموغرافي، وتناسي الأمن الفلسطيني، في الوقت الذي تعمل فيه لاستقدام ملايين اليهود لفلسطين، وتتوسع في سياسة التهجير ضد الفلسطينيين، وسحب هويات أبناء القدس وتدمير المنازل الفلسطينية، في الوقت الذي تمول فيه عشرات آلاف الوحدات السكنية في المستوطنات وفي القدس.... كل هذا يؤكد الموقف الاسرائيلي الثابت من الشعب الفلسطيني ومن حقه في وطنه ومن حقه في العودة إليه.

الموقف العربي:

لقد رأيت المواقف الرسمية العربية على المستوى المنفرد أو الجماعي (القمم العربية والجامعة العربية) على التأكيد على حق الفلسطينيين بالعودة لوطنهم، وعلى التمسك بقرارات الشرعية الدولية وبخاصة قرار ١٩٤ لعام ١٩٤٨. والتمسك بوكالة الغوث ودورها. رغم

الإختلاف الكبير بينها في التعامل مع اللاجئين الفلسطينيين المقيمين على أراضي هذه الدول. ومع بدء العملية السياسية في مدريد وما بعدها، ولتقدير البعض بأن هذه العملية ستصل إلى خواتيمها المرجوة سريعاً، برزت بعض المواقف، بعضها في إطار التحوط لما هو آت أو ردا على الدعاوى الإسرائيلية المطالبة لا لتعويض عن المهاجرين اليهود من البلدان العربية، أو سعيا لتأمين مصالح خاصة ويمكن الإشارة هنا للموقف اللبناني، الذي لايريد بقاء لاجئ فلسطيني على أرضه أكان في إطار العودة أو التوطين على أن يكون خارج لبنان. والموقف الأردني الذي يطالب بتعويض عن استضافته للاجئين فوق أراضيه، وقدر هذا التعويض بحوالي ٣٠٠ مليون دولار سنوياً بديلاً للخدمات التي يقدمها للاجئين. إضافة لما ورد في المادة الكامنة من اتفاقية وادي عربة بين الأردن واسرائيل من إشارة لعملية التوطين.

والتبست بعض المواقف العربية بعد توقيع اتفاقات أوسلو لفترة، من قضية وكالة الغوث ودورها واستمرار مسؤوليتها، بسبب الضغوط الأمريكية والإسرائيلية الهادفة إنهاء دور الوكالة، من خلال نقل مركز عملياتها إلى مناطق السلطة الفلسطينية، ومحاولات تحويل مسؤولياتها للسلطة الفلسطينية، ودمج تحويلها مع تمويل الدول المانحة للسلطة الفلسطينية من جهة، وتعريب المسؤولية عن تمويلها مرة ثانية ولكن هذه الإشارات السلبية في المواقف العربية تراجعت ولو مؤقتاً بعد اتضاح صعوبة الوصول لتسوية سياسية شرعية، واستحالة الإتفاق مع إسرائيل على تسوية مقبولة لقضية اللاجئين في هذه المرحلة على الأقل.

الموقف الفلسطيني:

أ ـ لقد انطلق الموقف الفلسطيني الرسمي في معالجته لقضية اللاجئين من التمسك بحقهم في العودة وفقاً للقرار الدولي رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨، ولازال يعلن تمسكه بهذا القرار رسمياً، كأساس لحل هذه القضية، وتمسكه بقرار ٢٣٧ لعام ١٩٦٧ أساساً لحل قضية النازحين. ولكن في الممارسة السياسية والعملية أوقع الطرف الفلسطيني نفسه، بسلسلة من الأخطاء الكبرى، تركت علامات استفهام على مدى تمسكه بهذه المرجعيات السياسية والقانونية، وأوحت باستعداده للمساومة عليها، وتجلى هذا بمايلي:

وافق الطرف الفلسطيني على الاشتراك في مؤتمر مدريد، بدون النص على انه يعقد على اساس قرارات الشرعية الدولية وبضمنها القرار ١٩٤، ولم ترع الأمم المتحدة هذا المؤتمر باعتبارها المرجعية الدولية السياسية والقانونية، ولم تشارك كطرف في المفاوضات اللاحقة، وجرى استبعادها بناءً لاصرار اسرائيلي ـ أمريكي بهدف الاستفراد بعملية السلام كلها. وتم وضع قضية اللاجئين في اطار المفاوضات المتعددة الأطراف، وهي مخصصة للقضايا الاقليمية، وبهذا استبعدت كقضية وطنية فلسطينية، وتعطل البحث بها نتيجة الموقف الاسرائيلي الرافض لحلها على اساس حق العودة وفقاً للقرار ١٩٤، وتركيزه مع الوفد الأمريكي، على معالجة الجوانب الانسانية والحياتية للاجئين على حساب حقهم بالعودة.. لا شك ان هنالك جوانب اقليمية لقضية اللاجئين، تهم الأطراف العربية، ولكنها قضية وطنية فلسطينية اساساً. والجانب الاقليمي فيها يخص العلاقة الثنائية الفلسطينية العربية ويحل عبر الإتفاق الفلسطيني العربي عليها.

وفي اوسلو ولعدم امكانية الوصول إلى اتفاق اعلان المبادىء، في حال التصدي للقضايا الأساس، وفي عملية هروب للامام، تم تأجيل قضية اللاجئين ضمن ما سمي بقضايا المرحلة النهائية، وبدون النص الواضح على حلها وفقاً للقرار الدولي ١٩٤، واكتفي فقط بتسميتها كعنوان للبحث اللاحق، هي وقضايا أخرى.

وطوال السنوات الثماني الماضية، أثناء مفاوضات مدريد، ومن بعده، اوسلو، وعلى هامشهما، جرت محاولات بحث غير رسمية بين أكاديميين فلسطينيين واسرائيليين وغيرهم، وبمراقبة سياسية من قيادات الطرفين. ورغم ان الأكاديميين الفلسطينيين حاولوا تدوير زوايا مواقفهم، وقدموا تنازلات لم يخولهم احد بتقديمها، إلا ان للموقف الاسرائيلي بقي كما هو، فقد اقترح (نسيبة + الخالدي) بعودة جزئية مقابل الاعتراف الاسرائيلي بالمسؤولية السياسية والأخلاقية عن مشكلة اللاجئين، ولكن هذا الطلب رفض اسرائيلياً. وفي أيار الماضي عقد لقاء في جامعة هارفرد في اطار مجموعة عمل مختصة بالبحث عن حلول للصراع ومنه قضية اللاجئين، يرأسها د. هربرت كولمان والدكتور نديم روحانا، وشارك فيها د. خليل الشقاقي ود. يوسي الفير وآخرون من الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي ونتيجة النقاش، طرحت حلول وسط للقضية. والحل الوسط المقبول على الطرف الفلسطيني المشارك في هذا اللقاء هو: ليس هناك عودة جماعية منظورة، مع بقاء الحق الفردي الأخلاقي بها معترف به اسرائيلياً، وفي هذا السياق تقر اسرائيل بمسؤوليتها في الحق الفردي الأخلاقي بها معترف به اسرائيلياً، وفي هذا السياق تقر اسرائيل بمسؤوليتها بخلق مشكلة اللاجئين، اما التطبيق الفعلي لحق العودة فهو مسألة مختلفة، والذين لن يعودوا، يسمح لهم بالعودة إلى الدولة الفلسطينية إذا رغبوا بذلك.

اما الحل الوسط المقبول على الطرف الاسرائيلي المشارك فهو: تعترف اسرائيل بمشاركتها العملية (لا ـ الأخلاقية) إلى جانب الأطراف الأخرى في التسبب بمأساة اللاجئين عام ١٩٤٨، وتصحيح الأوضاع هو الهدف الرئيس لعملية السلام، تقبل اسرائيل بحق العودة للدولة الفلسطينية، وتقوم بتعويض اللاجئين بشكل جماعي، وكذلك يعوض العرب اللاجئين اليهود، وبهذا يتم اغلاق ملف اللاجئين بكافة جوانبه نهائياً[14].

من الملاحظ هنا ان الطرف الاسرائيلي بما في ذلك الأكاديمي بقي ملتزما بالرواية التاريخية الاسرائيلية الأساسية بالنسبة لحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة. في حين ان الطرف الفلسطيني الأكاديمي، أعطى لنفسه حق اعطاء تفسيرات للمفهوم الفلسطيني للعودة، وبالتالي اعطاء حلول على حساب الحق الفلسطيني وبما يضر بمنطوق ومفهوم القرار ١٩٤ وبالتالي بالمصالح الوطنية.

موقف اللاجئين من العملية السلمية الجارية:

أثارت التسوية المطروحة بمعناها المفاهيمي والمرجعي ومترتباتها السياسية في التطبيق شكوكاً كبيرة في أوساط الفلسطينيين عموماً، واللاجئين على وجه الخصوص، عبرت عن نفسها في المعارضة الصريحة أو النقد الواضح أو عدم الرضى مما هو مطروح من سيناريوهات للحل تتجاوز قناعاتهم وحقهم الوطني والسياسي. وتجلت في تحركات شعبية على شكل لجان (حق العودة) ومؤتمرات في الشتات والوطن هدفت التأكيد على الالتزام بحق العودة ومطالبة الطرف الفلسطيني بعدم التنازل عنه. وترافقت مع دعوات عدد من المثقفين الفلسطينيين والعرب لعقد مؤتمر عام للاجئين يبحث في مستقبلهم ودورهم. وفي دعوات كثيرة ومازالت تتفاعل لتشكيل حركة شعبية للدفاع عن حق العودة للاجئين الفلسطينيين. ومن أجل معرفة وجهة نظر الفلسطينيين من العملية السلمية، قامت مجموعة من الباحثين بعدة دراسات لاستجلاء مواقفهم والوقوف على رأيهم. ○ ففي العام ١٩٩١ أجرت الباحثة بسمة قضماني درويش دراسة على عينة من ٤٠٦ أشخاص، من مخيمات الاردن وكانت اجاباتهم: ٩٠٪ مع تطبيق حق العودة. وفي العام ١٩٩٤ أجريت دراسة ميدانية في مخيمات لبنان شملت ٦٠٠ شخص، وشملت مجموعة من العناوين وكانت آراء المستطلعين على النحو التالي: ٢٠٪ اعتقدوا ان اتفاقات أوسلو ستسهل مسألة العودة. فيما عارضها ثلثا المستطلعين لاعتقادهم انها لن تحقق لهم العودة. ٧٠٪ عارضوا التوطين في لبنان، ٨٢٪ يرغبون بالعيش في فلسطين.

○ وفي العام ١٩٩٥ أجرى مركز البحوث والدراسات ـ نابلس، دراسة على ١٢٧١ شخصاً من الضفة والقطاع / (لاجئين وغير لاجئين) وكان السؤال الأساسي: هل توافق على التخلي عن أراضي ١٩٤٨ مقابل التوصل لحل نهائي يؤدي لقيام دولة في الضفة وغزة والقدس عاصمتها؟ وكانت الاجابات:

ـ ٦٠٪ أجابوا بالنفي، مقابل ٣١٪ وافقوا. عندما تم تحليل العينة تبين ان الذين أعمارهم من

١٥-١٨ عاماً كانوا من أشد المعارضين للتخلي عن أراضي ١٩٤٨ حيث عارض المشروع منهم ٧٠٪ ووافق عليه ٢٦٪ و٤٪ لم يكن لهم رأي[19].

الخلاصة:

لقد شاركت القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومن بعدها قيادة السلطة الفلسطينية بالعملية السياسية الجارية، في ظل ميزان قوى سياسي مختل لصالح اسرائيل على المستوى الدولي والاقليمي، ونتيجة ذلك فرض على الطرف الفلسطيني مجموعة من الشروط في مدريد أولاً وفي أوسلو لاحقاً قفزت عن قضية اللاجئين وحاولت الالتفاف عليها بإغفال مرجعيتها القانونية، أو تأجيلها إلى مراحل لاحقة وغير منظورة. ويتمثل القبول بهذه الشروط بأحد جوانبه، تجاوباً مع الموقف الاسرائيلي المعروف منذ البداية من قضية اللاجئين وأسس حلها. وسهل على إسرائيل املاء شروطها هذه الموقف الأمريكي المنحاز كلياً لها، واستجابة الطرف الفلسطيني لضغط الادارات الأمريكية عليه.

ان محاولات القفز عن الأساس المرجعي لتسوية الصراع في المنطقة، والقضية الفلسطينية، باعتبارها قضية احتلال عليه ان يرحل، وقضية حق تقرير المصير واستقلال وسيادة للشعب الفلسطيني، وباعتبار قضية اللاجئين جزءاً لا يتجزأ من حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. هذه المرجعية السياسية والقانونية المستندة لحق الشعوب بتقرير مصيرها، ولقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة. محاولات القفز هذه - عززت من الشعور المتنامي للاجئين في حقهم بالعودة ولم تضعفه، وبأن قضيتهم ليست قضية عالقة من جملة قضايا أخرى، بل هي جوهر الصراع الجاري، وكلما اقتربت المفاوضات من هذا الخط الملتهب، كلما تبين للجميع استحالة تحقيق أية تسوية تتغافل عن هذه المسألة كما هي في الواقع، لأنها قادرة على تفجير أية تسويات مفروضة راهناً ومستقبلاً، واعادة الأمور إلى نقطة البداية.

ولن يفيد كثيراً المحاولات الأمريكية - الاسرائيلية، باستبعاد الأمم المتحدة وقراراتها كمرجعية سياسية وقانونية للتسوية، المحاولات الجارية لحرف وكالة الغوث عن دورها المعهود تارة، وادراجها في عملية أوسلو تارة ثانية، وإنهاء دورها قبل حل قضية اللاجئين تارة ثالثة، أو التوقف عن التصويت على قرار ١٩٤ منذ عام ١٩٩٣ بعد التوقيع على اتفاق أوسلو، أومحاولات مقايضة قضية اللاجئين بأشكال أخرى من الترضيات للطرف الفلسطيني وغير ذلك من السيناريوهات لأن قضية اللاجئين وحقهم في العودة كانت وستبقى قضية مصير الشعب الفلسطيني كله وستبقى القضية الكبرى على جدول أعمال المجتمع الدولي وكل من يريد أن يساهم بتسوية مشاكل المنطقة وكما قال الباحث الإسرائيلي باروخ كيمرلنغ: «إن حجم مشكلة اللاجئين أكبر من أن يكون في الإمكان كنسها وإخفاؤها تحت السجادة». ولم يولد بعد، الرسمي الفلسطيني القادر على الإعلان عن التخلي عن هذا الحق.

إن موقف الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة بعد الدخول في التسوية السياسية في مدريد وأوسلو كما قبلهما، شكلت استمراراً للموقف الاسرائيلي في عدم الاعتراف في التسبب بمشكلة اللاجئين، وتبعاً لذلك عدم الاعتراف بالعودة بما في ذلك حق العودة المحدودة، والاصرار على التعامل معها من خلال البعد الانساني وتحميل الفلسطينيين والعرب مسؤولية ما حدث، هذا يدلل على ان السعي الاسرائيلي للسلام هو سعي مزعوم ويستهدف التضليل وطمس حقائق التاريخ، ويعكس استمرار الايديولوجية التوسعية الاجلائية وعقلية «الترانسفير» التي لا تعترف بالآخر، ولا ترى له مكاناً تحت الشمس أو على الأرض التي وجد عليها منذ بدء التاريخ، فما تزال ذاكرتنا طازجة، ونحن لم ننف ألفي عام وبيوتنا وأرضنا قريبة جداً منا كما يقول شاعرنا محمود درويش.

إن مجريات التفاوض سواء في الرباعية حول النازحين أو المتعددة حول اللاجئين تؤكد، ان الانطلاق من المواقف العامة، غير كافٍ في مفاوضات معقدة ومصيرية حاسمة كقضية اللاجئين، وانه يتطلب استراتيجية فلسطينية تقوم على التمسك بالحقوق والمصالح العليا للشعب الفلسطيني، وتلقى اجماعاً وطنياً عاماً، وعلى توفر كل العناصر والمعطيات المعلوماتية الضرورية، وأن يشكل النازحون واللاجئون انفسهم مرجعية عليا للتقرير بأية تسوية لقضيتهم، عبر الاتفاق على آلية مناسبة لذلك.

وتؤكد كذلك، على ضرورة التمسك الحازم بقرارات الشرعية الدولية وبقرار ١٩٤ كمرجعية سياسية وقانونية لحق اللاجئين بالعودة، والسعي الجاد للربط بين القرارات الدولية وآليات تنفيذها، والتمسك بوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين وبدورها، حتى يتم الاتفاق على حل قضية اللاجئين من جميع جوانبها، والاستفادة من المفوضية السامية العليا للاجئين، لقدرتها على تأمين الحماية للاجئين، بما في ذلك فرض العودة، في حين ان دور وكالة الغوث يقتصر على الرعاية فقط.

وعلينا كذلك التركيز في خطابنا السياسي والاعلامي على قضية اللاجئين بكافة المناحي والميادين والمحافل، وابقائها حاضرة على واجهة الأحداث الاقليمية والدولية - والتصدي للحملات الاعلامية الاسرائيلية وتفنيدها، كالزعم ان قضية اللاجئين تهدد اسرائيل ديموغرافياً وأمنياً.

لقد أقر المجلس الوطني الفلسطيني، البرنامج الوطني ممثلاً بحق الشعب الفلسطيني بالعودة إلى وطنه وبتقرير مصيره وباقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وأكدت على هذا وثيقة الاستقلال عام ١٩٩٨. وهذا يتوافق مع الشرعية الدولية وقراراتها ذات الصلة، اقتناعاً منا بالبحث عن التسوية السياسية في هذه المرحلة التاريخية ولكي تؤسس هذه التسوية المرحلية، للتسوية التاريخية ولسلام دائم في منطقتنا، يقوم على أساس المساواة والعدل والديمقراطية ■■

الهوامش

(١) بني موريس، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين وثيقة اسرائيلية دار الجليل للدراسات والنشر عمان - الأردن ١٩٩٢ صفحة٣٨.

(٢) نفس المرجع السابق ص٤٠.

(٣) بني موريس، مصدر سبق ذكره ص٤٠.

(٤) ايليا زرين - اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٧ ص٢٤.

(٥) زريق - مرجع سابق ص٢٣.

(٦) زريق - مرجع سابق ص٦١-٦٣.

(٧) الدكتور مسلم أبو الحلو / ورقة عمل مقدمة لورشة بيت لحم - ٩٧/٧/١ ص٩٥-١٠٣.

(٨) تقرير لجنة شؤون اللاجئين المقدم للمجلس التشريعي الفلسطيني - رام الله ١٩٦٨/٦/٨ تقرير غير منشور.

(٩) ايليا أبو زريق - مرجع سابق ص٩٩-١٠٠.

(١٠) نفس المرجع السابق ص١٠١.

(١١) وليد سالم، حق العودة والبدائل الفلسطينية، بانوراما - المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية / تموز ١٩٩٧ ص١٢٢.

(١٢) زريق - - مرجع سابق ص١٠٣.

(١٣) نفس المرجع ص١٠٥.

(١٤) ايليا زريق - مرجع سابق ص١٠٠-١٠٧.

(١٥) نفس المصدر ص١٠٧.

(١٦) زريق - مرجع سابق ص١١١-١١٢.

(١٧) سليم تماري، مستقبل اللاجئين الفلسطينيين - أعمال لجنة اللاجئين في المتعددة الأطراف واللجنة الرباعية - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٩٦ ص١٣.

(١٨) جوزيف الفير وخليل الشقاقي في قضية اللاجئين وحق العودة، مركز وينر هيد للشؤون الدولية مايو أيار ١٩٩٨ رقم ٧٩٨ دراسة غير منشورة.

(١٩) زريق - مرجع سابق، تلخيص من ص٩٠-٩٦.

ملاحظة: هذه الورقة قدمت أساساً إلى المؤتمر السنوي الثلاثين لجمعية صندوق الأراضي المقدسة المتحد. بمدينة دالاس - تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية. بتاريخ ٢٧-٢٨ نوفمبر ١٩٩٨. وتم تنقيحها مع بعض الإضافات البسيطة من أجل إعادة نشرها، لهذا اقتضى التنويه.

حركة «حماس» تقيم مهرجاناً خطابياً في مخيم اليرموك

بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة لاستشهاد المهندس يحيى عياش

اقامت حركة «حماس» مهرجاناً جماهيرياً في النادي العربي بمخيم اليرموك، قرب دمشق، مساء يوم الجمعة الموافق ١٩٩٩/٢/١٩م، بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة لإستشهاد المهندس يحيى عياش.

ـ وقد ألقيت في المهرجان عدة كلمات، بدأها الدكتور رمضان عبد الله الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي، ومما جاء في كلمته:

إن حضورنا هذا الحفل الكريم، هو تأكيد على اختيارنا لطريق الاستشهاد كطريق للنصر والحياة، فسلام على صاحب الذكرى، سلام على الشهيد يحيى عياش، سلام على الشهيد فتحي الشقاقي، وسلام على كل شهداء امتنا.

وأضاف قائلاً: إن القيمة الكبرى للاستشهاديين انهم تقدموا بالاستشهاد في زمن الهزيمة، في زمن الإستسلام، هنا تحقق التوازن، توازن الرعب مع العدو، بأن نقلوا المعركة إلى عقر داره، لقد صنعوا معجزة كبيرة، واستمرت المقاومة، واستمر المشروع المعادي في هجمته، إننا نواجه اليوم ليس إسرائيل أو السلطة فقط، فبعد واي ريفر دخلت الولايات المتحدة الأمريكية على الخط مباشرة لتخوض الصراع عبر جهاز استخباراتها الذي يشرف على قمع وسحق الشعب الفلسطيني. واختتم حديثه بالقول: لا خلاص لنا إلا طريق الجهاد والإستشهاد، فعلى هذا الدرب نحن ماضون.

ـ ثم تلاه الدكتور علي عقلة عرسان، رئيس اتحاد الكتاب العرب، حيث قال:

بهذه المناسبة أود أن نتوقف عند النقاط الآتية موضحين موقفاً منها:

أولاً: إن حق الفلسطينيين في مقاومة الإحتلال الصهيوني لفلسطين، هو مثل حق اللبناني والسوري في مقاومة الوجود الصهيوني في جنوب لبنان والجولان، كل منهم يملك الشرعية التي تقرها الشعوب في مقاومة المحتل حتى التحرير.

ثانياً: إن وضع المقاومة الفلسطينية واللبنانية في موقع من لايريد السلام، ينطوي على مغالطات كبيرة وخطيرة، فالسلام مطلب إنساني، وليس من السلام في شيء فرض الأمر الواقع، على شعب بقوة القهر.

ثالثاً: إننا نرى في يحيى عياش وفتحي الشقاقي ورائد شرنوبي ومجدي أبو وردة وإبراهيم سراحنة، والأخوين عوض الله وكل من سبقوهم من الشهداء، هم شهداء الأمة وأبطالها وحملة راياتها المباركة.

ثم ختم حديثه بالقول: إنها قضية أمة وليست قضية فئة، وهي قضية أجيال وليست قضية جيل، وواجبنا أن نبقي هذه القضية حية في الذاكرة والوجدان بالمقاومة الشجاعة.

ـ ثم ألقى سماحة الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام كلمة حزب الله فقال:

نقف اليوم أمام ذكرى استشهاد المهندس يحيى عياش، فيحيا بيحيى.. فتحيا فلسطين بدماء يحيى عياش ودماء كل الشهداء.. فالجهاد هو نهج ارتضيناه لأنفسنا، وقد لجأنا للمقاومة من أجل التحرير واسترداد الأرض المغتصبة.

واضاف قائلاً: نحن اليوم أمام منعطف خطير، نحتاج فيه إلى مزيد من الصبر والتضحيات.. فبالأمس اجتمعت الفصائل الفلسطينية في دمشق عرين الأسد، نحن نقول لهم بورك لكم هذه الخطوة الشجاعة.. فلا حل بالتفاوض.. ولا حل بالتنازل.. الحل الوحيد بالمواجهة والجهاد..

ثم ختم حديثه بالقول: نحن اليوم في موقع قوي، فالجولان مرتبط بجنوب لبنان، وجنوب لبنان مرتبط بفلسطين، إن قضيتنا واحدة وموحدة.

ـ بعد ذلك ألقى الأخ أبو موسى أمين سر حركة فتح كلمة تحالف القوى الفلسطينية فقال:

عندما سقط يحيى عياش غيلة وغدراً، كان الموقف الشعبي المهيب في وداع الشهيد موقفاً أصيلاً تجدد في العهد والقسم على مواصلة النضال واستمرار المقاومة، وباحتفالنا به نحتفي ونكرم كل الشهداء الذين حملوا راية الجهاد والكفاح لنكتب تاريخنا ونصوغ مستقبلنا.

واضاف قائلاً: فعلى أرض فلسطين يستكمل العدو الصهيوني اليوم إجراءاته في تهويد الأرض وتهويد القدس من خلال إحاطتها بالمستوطنات وقطعان المستوطنين، وتعقد باسم الشعب الفلسطيني زيفاً اتفاقات خيانية يجري بموجبها التنازل عن الوطن وتشريع الإحتلال في الضفة والقطاع، وختم حديثه قائلاً: نعلن بكل وضوح أن فلسطين ليست عقاراً للبيع والمساومة، وأن الخيانة والتساوق مع هذه المخططات والمشاريع ليست وجهة نظر، ولا مكان في ساحتنا الفلسطينية لمن يصافح الأعداء ويلتقي بهم.

ـ ثم ألقى الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قال فيها:

ما أكبر الشهداء.. وما أصغر الكلمات، لأن الكلمات مهما بلغت فإنها لن تصل إلى مستوى نبل الشهادة، فالشهيد القائد يحيى عياش، شهيد فلسطين، أوقد شمعة المقاومة، وأحيا فينا سيرة الشهداء من حجازي وجمجوم وعطا الزير إلى شيخ الشهداء القسام إلى كنفاني وأبو شرار والشقاقي، فهؤلاء جميعاً حملوا راية فلسطين التي هي ليست فلسطين المجزوءة ولا الكانتونات والمعازل.

لهذا نقول بصوت عالٍ: ليس منا من يصالح أو يصافح، ليس منا من يساوم على الحق أو يعترف بالعدو، ليس منا من يستبدل مفردة العدو بالصديق، إن من يظن أن الإتفاقات وعشرات الإتفاقات تستطيع أن تصادر الحق وتلغي الصراع فهو واهم، وأن من يظن أنه يبيع رأس الميثاق ورؤوس المناضلين لصالح الإحتلال فهو ساقط القيم والمبادئ، إن لعبة الأوراق باتت مكشوفة، ولن يسترها لا لعبة إعلان الدولة ولا لعبة الكونفدرالية.

وختم الرفيق أبو علي حديثه قائلاً: إن مقاومتنا هي مقاومة الإرهاب الذي استباح فلسطين عبر الغزوة الصهيونية منذ مطلع هذا القرن، فقمة الإرهاب هو ما تجلى مؤخراً في جريمة خطف المناضل أوجلان، وهذا أكبر دليل على إرهابهم، والإرهاب أيضاً هو ما يتعرض له العراق والسودان وليبيا.. نعم هذا هو الإرهاب الذي نرفضه ونقاومه إلى أن يندحر عن أرضنا وقدسنا ووطننا وأمتنا.

ـ وفي الختام ألقى الدكتور موسى أبو مرزوق عضو المكتب السياسي كلمة حركة «حماس» فقال:

عندما نحتفل اليوم بالذكرى الثالثة لاستشهاد المهندس يحيى عياش، نحتفل بطريق اختطه هؤلاء الإستشهاديون في هذا الزمن الصعب، واخوانكم الآن في معتقلات السلطة وهم يضربون عن الطعام في نابلس وأريحا والخليل، مضى عليهم (٢٤) يوماً، يطالبون بالإفراج عن الأسرى والمعتقلين، من هنا نوجه لهم التحية وذلك ليجعلوا من أرض فلسطين خارطة لاتتجزأ، لابقعاً متناثرة هنا وهناك، فقد ابتلع الإستيطان القدس وما حولها، كما ابتلع عشرات الدونمات في الطرق الإلتفافية، ولم يحصل الفلسطينيون إلا على فقاعات من أرض الضفة يحكم بها هؤلاء أمنياً ليس إلا؟!، وبعد هذا كله خرجوا علينا أخيراً بشعارات شتى كان آخرها الكونفدرالية الزائفة، كونفدرالية يريدون بها أن يقفزوا على كل العقبات التي واجهوها.

لهذا نقول لهم: إن قضية فلسطين ليست أوراقاً تمضى، ولا شعارات ترفع إنها قضية شعب اضطهد وشعب شرد من وطنه منذ مائة عام وحتى هذه اللحظة فحركة «حماس» واخوانكم المجاهدون في فصائل الثورة الفلسطينية التي عارضت هذا النهج التفريطي عاقدون العزم على إنطلاقة جديدة، طريقها القتال والجهاد والاستشهاد، ليبدؤوا المسير نحو القدس، نحو فلسطين من بحرها إلى نهرها، فإنما الشعوب تحيا بالجهاد والكفاح، وبغير هذا الأسلوب لايمكن أن يسترد حق وأن تعاد الأرض، فهذا هو الطريق طريق المقاومة لا طريق الإنهزام والإستسلام.

د. جورج حبش يلتقي الرفيق عبد الله الأحمر

التقى وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق جورج حبش الأمين العام للجبهة وابو أحمد فؤاد عضو م.س وصالح مبارك عضو الدائرة السياسية مع الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الإشتراكي وجرى بحث التطورات السياسية على الصعد العربية، والدولية والفلسطينية.

أكد الطرفان على أهمية وضرورة تطوير وتنشيط الحركة الشعبية العربية لمواجهة المخططات المعادية للأمة العربية ومتابعة الجهد من أجل تحقيق التضامن العربي للدفاع عن حقوق الأمة وفك الحصارات عن شعوبها ومقاومة المؤامرات التي تستهدف حريتها واستقلالها.

بيان صحفي

تعقيباً على تصريحات رئيس السلطة الفلسطينية حول الكونفدرالية مع الأردن، أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتصريح التالي:

إن هذه التصريحات تأتي في سياق محاولات فريق أوسلو للهروب من مأزقه السياسي المتفاقم يوماً بعد يوم، بعد أن فرّط بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، كما تأتي في سياق مأزق ما يسمى بعملية التسوية التي اتضحت أهدافها بصورة ساطعة والرامية إلى تحقيق المزيد من أهداف المشروع الصهيوني في المنطقة.

إن أولويات برنامج كفاح الشعب الفلسطيني تتمثل في مواصلة النضال لتحرير الأرض وإزالة الإستيطان، وانتزاع الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية ذات السيادة الكاملة وعاصمتها القدس.

إن تصريحات فريق أوسلو الأخيرة بصدد الكونفدرالية مع الأردن والتي تأتي عقب الحديث عن استحقاق ١٩٩٩/٥/٤ لاتعدو كونها هروباً للامام، ودليلاً جديداً على التخبط الدائم لهذا الفريق في سياسات مدمرة من ناحية واستجابة جديدة للمشاريع الأمريكية الإسرائيلية الرامية إلى طمس الحقوق الوطنية الفلسطينية، وترتيب أولويات الحلول المشبوهة وفق مصالحها وتصوراتها.

إننا في الجبهة الشعبية نؤكد على تصميم شعبنا وحركته الوطنية على استمرار المقاومة والنضال لإفشال هذه المشاريع والحلول المشبوهة، وعلى التمسك بأهدافه الوطنية في التحرير والإستقلال الكامل على أرض فلسطين.

المكتب الصحفي ١٩٩٩/٢/١٤

تصريح صحفي

أدلى ناطق باسم المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتصريح التالي:

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعتبر أن عملية اختطاف المناضل عبد الله أوجلان زعيم حزب العمال الديمقراطي الكردستاني، عمل إرهابي تتحمل مسؤوليته الدول التي ساعدت أو قامت بهذه العملية.

إن هذه العملية ما هي إلا إحدى ثمار التحالف الأمني التركي - الإسرائيلي - الأمريكي، وأجهزة الموساد الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية، ليست بعيدة عن عملية الإختطاف المنظمة.

إن الجبهة الشعبية في الوقت الذي تدين فيه هذا العمل الإرهابي، فإنها تعلن تضامنها مع الشعب الكردي، وتدعو إلى تلبية الحقوق القومية للشعب الكردي في تركيا، والذي يكافح من أجل قضية عادلة.

وعلى الهيئات الدولية والأمم المتحدة أن تتدخل لوقف العدوان على هذا الشعب.

المكتب السياسي
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
١٩٩٩/٢/٢٠

بيان باسم لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الصهيونية

تتابع لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الصهيونية، بقلق بالغ الأوضاع المتردية للمعتقلين داخل سجون سلطة الحكم الذاتي التابع، بعد أن أعلنوا الإضراب عن الطعام احتجاجاً على استمرار اعتقالهم، وعلى ظروفهم القاسية السيئة خاصة بعد أن تحدثت الأنباء عن توقف المضربين عن تناول مياه الشرب وتلقي العلاج، الأمر الذي سيعرض حياتهم للخطر في مثل هذه الحالة.

إن لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، إذ تدين استمرار قيام تلك السلطة بالمزيد من عمليات اعتقال المناضلين والمجاهدين من شعبنا فإنها ترى أن مثل هذه العمليات تشكل في حد ذاتها استجابة للشروط والإملاءات الصهيونية المتواصلة بعد أن تحولت تلك السلطة إلى أداة طيعة في أيدي قوات الإحتلال، وخاصة أن مثل هذه العمليات تجري في إطار الخطط الأمنية التي نصت عليها اتفاقية واي - ريفر الأخيرة التي تستهدف النضال الوطني الفلسطيني برمته.

إننا نناشد جماهير شعبنا في كافة أماكن وجوده وكل القوى الوطنية، والمؤسسات الإتحادية والنقابات الوطنية. كذلك نهيب بكل القوى الوطنية العربية، وجميع مؤسسات لجان حقوق الإنسان، التدخل لوضع حد للممارسات من قبل سلطة الحكم الذاتي التابعة، القمعية، والعمل بكل الوسائل من أجل انقاذ المعتقلين المضربين من سجونها، وإطلاق سراحهم على الفور.

لجنة الدفاع عن الاسرى
والمعتقلين الفلسطينيين في
السجون الإسرائيلية
١٩٩٩/٢/٩

ندوة جماهيرية في مخيم خان الشيح

بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢١م. أقامت منظمة الجبهة الشعبية في مخيم خان الشيح، ندوة سياسية، تحدث فيها الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية حول آخر التطورات السياسية على الصعيد الفلسطيني، وقد استمع بعد مداخلته إلى أسئلة الحضور حول العناوين والمواضيع التي تحدث فيها، وأجاب عليها الرفيق أبو علي، وقد أدار الندوة الرفيق أبو هاني/ عضو قيادة فرع سوريا للجبهة الشعبية، مسؤول منطقة المخيمات في الفرع، هذا وقد طالب الحضور الجبهة الشعبية أن تفعّل دورها وفعالياتها لتعود إلى ما كانت عليه من مواقع ريادية في مكافحة الإحتلال وصولاً لأهداف الشعب الفلسطيني في الحرية والإستقلال، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

بيان صحفي صادر عن اللجنة الوطنية العليا للمتابعة المنبثقة عن المؤتمر الوطني الفلسطيني

عقدت اللجنة الوطنية العليا للمتابعة اجتماعاً اليوم الموافق ١٩٩٩/٢/١٤، خصص لمناقشة عضوية الجبهة الديموقراطية في ضوء اللقاء الذي حصل بين السيد نايف حواتمة ورئيس الكيان الصهيوني.

وفي ضوء المناقشات والمداولات التي جرت قرر المجتمعون مايلي:

١ـ اعتبر المجتمعون أن ما أقدم عليه حواتمة شكل خروجاً على الميثاق الوطني الفلسطيني، وقرارات المؤتمر الوطني الفلسطيني والبيان الختامي الصادر عن المؤتمر.

٢ـ إدانة هذا السلوك السياسي الذي أقدم عليه حواتمة وشجبه واستنكاره لما ألحق ضرراً بالقضية الوطنية ولاستهدافه عرقلة المساعي لإعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني.

٣ـ قرر المجتمعون إسقاط عضوية الجبهة الديموقراطية من اللجنة الوطنية العليا للمتابعة.

دمشق ١٩٩٩/٢/١٤

اللجنة الوطنية العليا للمتابعة

تصريح صحفي صادر عن لجنة التنسيق العليا لأحزاب المعارضة الأردنية

عقدت لجنة التنسيق العليا لأحزاب المعارضة الأردنية اجتماعاً لها يوم الإثنين الموافق ١٩٩٩/٢/١٥م، واستعرضت اللجنة عدداً من القضايا الراهنة وعلى رأسها مصافحة نايف حواتمة لرئيس كيان العدو الصهيوني على الأرض الأردنية، وصدر عن الإجتماع التصريح التالي:

١) إن لجنة التنسيق العليا لأحزاب المعارضة الأردنية تستنكر بشدة ما أقدم عليه نايف حواتمة أمين عام الجبهة الديمقراطية بمصافحته لرئيس دولة العدو الصهيوني.

٢) ترى أحزاب المعارضة أن هذه الخطوة تساهم في إضعاف الصف الوطني المعارض لمعاهدتي أوسلو ووادي عربة وتقدم نموذجاً من شأنه أن يقلل من مصداقية المعارضة والجهد الذي تبذله أحزاب المعارضة في مواجهة المعاهدتين ونتائجهما.

٣) ترى أحزاب المعارضة أن هذه الخطوة هي إعلان سافر عن الإنخراط في معسكر الإستسلام المعادي لأماني وطموحات الأمتين العربية والإسلامية والمدان من أحزاب المعارضة الأردنية وكافة القوى الشريفة في أمتنا.

حزب جبهة العمل الإسلامي ـ حزب البعث التقدمي ـ حزب جبهة العمل القومي ـ حزب الأنصار العربي ـ الحزب التقدمي ـ حزب الأرض العربية ـ حزب البعث العربي الإشتراكي ـ الحزب الشيوعي الأردني ـ حزب العمل القومي (حق) ـ حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني ـ حزب الجبهة الأردنية العربية الدستورية ـ حزب الحركة القومية الديمقراطية ـ

عمان في ١٩٩٩/٢/١٦م

بيان سياسي صادر عن الأحزاب والقوى الوطنية والإسلامية في لبنان

«لقاء حواتمة ـ وايزمن» خروج عن الصف الوطني

توقفت الأحزاب والقوى اللبنانية أمام مصافحة نايف حواتمة لرئيس كيان العدو الصهيوني. وقد رأت في ذلك خروجاً عن إرادة قوى الصمود في أمتنا الرافضة للإستسلام والتطبيع.

حيث يمضي العدو الصهيوني وقوى الأعداء في شن عدوان سافر على الأمة في أكثر من موقع واستيطان واعتداءات يومية في فلسطين المحتلة وجنوب لبنان.

إن مصافحة نايف حواتمة أمين عام الجبهة الديمقراطية تأكيد على إنخراطه في معسكر الإستسلام وبالتالي هو وما يمثل أصبحوا خارج الصف الوطني والمطلوب مقاطعتهم وعزلهم.

الأحزاب والقوى

حزب البعث العربي الإشتراكي ـ حزب الله ـ الحزب السوري القومي الإجتماعي ـ حركة أمل ـ الجماعة الإسلامية ـ الحزب الشيوعي اللبناني ـ التنظيم الشعبي الناصري ـ جمعية المشاريع ـ الإتحاد الإشتراكي العربي ـ التنظيم الناصري ـ حزب الهنشاك ـ حزب الإتحاد ـ حزب رمقافار ـ حزب العمل الإشتراكي العربي ـ الحزب الديمقراطي الشعبي ـ حزب النجادة ـ رابطة الشغيلة ـ حزب رزكاي الكردي اللبناني ـ حزب الاتحاد ـ المؤتمر الدائم لمناهضة الغزو الثقافي الصهيوني ـ حركة الكفاح الشعبي ـ التنظيم القومي الناصري ـ حزب الاتحاد الإشتراكي العربي ـ الحزب العربي الديمقراطي ـ طلائع العمل القومي ـ حزب الطاشناق ـ المنتدى الثقافي الوحدوي

بيان القوى والشخصيات الوطنية المصرية حول مصافحة ولقاء نايف حواتمة لقادة الكيان الصهيوني

في الوقت الذي ثبت فيه السقوط الكامل لنهج التسوية السياسية مع العدو الصهيوني الإسرائيلي القائم على الإتفاقيات الإنفرادية والتنازلات غير المحدودة، التي توجتها اتفاقية واي ريفر المهينة في حين يرفض العدو الصهيوني في صلف تنفيذ هذه الإتفاقيات المذلة، رغم إلغاء سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية للميثاق الوطني الفلسطيني.

وفي ذات الوقت الذي برزت فيه ارهاصات صعود الحركة الشعبية العربية للتصدي للعدو والتحركات الجماهيرية الصاعدة ضد التطبيع وضد العدو الصهيوني الإسرائيلي الأمريكي في مختلف البلدان العربية وفي تلك الظروف الحاسمة، وحيث يواصل العدو توسعه وعدوانه واحتلاله للأرض قام نايف حواتمة أمين عام الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بمصافحة رئيس الكيان الصهيوني أثناء جنازة الملك حسين في عمان ووصفه هذا الصهيوني الغاصب بـ «رجل السلام».

إن هذا الموقف يصيب في الصميم القوى الوطنية الفلسطينية وسائر القوى العربية المتمسكة بالحقوق العربية الصامدة على خط مقاومة الإغتصاب والعدوان. ويعتبر خروجاً واضحاً على ثوابت الصمود العربي واقتراباً من قوى الإستسلام مع العدو، واضفاء للشرعية على الإغتصاب والعدوان.

إننا إذ نستنكر هذا الموقف المشين من نايف حواتمة، فإننا ندعو القوى الفلسطينية المناضلة إلى المزيد من التوحد والصمود، كما ندعو كل قوى التحرر العربية لتشديد كفاحها ضد الصهيونية وإسرائيل والإمبريالية وتصعيد تضامنها مع قوى النضال الفلسطيني والعربي حتى يتم تحقيق النصر الكامل لأمتنا وشعوبنا.

الإسم/ الصفة

ضياء الدين داود/الأمين العام المساعد للحزب الناصري/ مصر ـ حامد محمود حامد/الأمين العام المساعد للحزب الناصري ـ أحمد حسن أحمد/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري ـ علي محمد الهادي/عضو المكتب السياسي

للحزب الناصري - عبد العظيم المغربي/الأمين العام المساعد للحزب الناصري - سامح محمد عاشور/الأمين العام المساعد للحزب الناصري وعضو مجلس الشعب - سيد حسين شعبان/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - عبد الوهاب محمود/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - محمد نصر يسين/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - جمال عبد الناصر/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - د. محمد أبو العلا/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - محمود المراغي/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - ابراهيم شكري/رئيس حزب العمل - عادل حسين/أمين عام حزب العمل - مجدي أحمد حسين/رئيس تحرير جريدة الشعب - طلعت رميح/نائب رئيس تحرير جريدة الشعب - عبد الحميد بركات/الأمين العام المساعد لحزب العمل - د. مجدي قرقر/الأمين العام المساعد لحزب العمل - محمد أبو الفتوح/عضو المكتب السياسي لحزب العمل - محمد المرشدي/عضو المكتب السياسي لحزب العمل - محفوظ عزام/عضو المكتب السياسي لحزب العمل - نزار كمال حافظ/عضو المكتب السياسي لحزب العمل - د. صلاح عبد العال/عضو المكتب السياسي لحزب العمل - لواء/ طلعت أحمد مسلم/مقرر المكتب السياسي لحزب العمل - حلمي سالم/نائب الرئيس وأمين عام حزب الأحرار - ابراهيم البدراوي/ محام (ممثل الشيوعيين المصريين) - أحمد عبد الحميد شرف/باحث (الشيوعيين المصريين) - فاروق العشري/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - أمل محمود/ عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - أحمد عبد الرحمن الجمال/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - جمعة حسن جمعة/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - محسن الدقاق/ عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - عمرو عبد الهادي ناصف/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - لواء/ محمد صلاح سعده/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري - د. فائق سعد/عضو المكتب السياسي للحزب الناصري

بيان سياسي صادر عن القوى السياسية والشخصيات الجزائرية

في الوقت الذي تتكثف فيه جهود القوى القومية والإسلامية من أحزاب وتنظيمات مستجيبة لرغبة الأمة في تكسير جدار الذل والمهانة الذي كرسته الإتفاقات الإنهزامية المشؤومة بدءاً من أوسلو وانتهاء بواي بلانتيشن وفي وضع حد لسياسة الخنوع والخضوع التي لم تعرف حداً وانطلاقاً من مسؤوليتنا في دعم حقوق الشعب الفلسطيني ومن خلاله الأمة العربية والإسلامية.

فإن ممثلي القوى السياسية الحية في الجزائر يستنكرون بشدة ما أقدم عليه نايف حواتمة بملاقاته رئيس الكيان الصهيوني المغتصب مكرساً بذلك نهج الاستسلام والإلتحاق بمعسكر التبعية والارتماء في أحضان الإستسلام.

ويندون بمثل هذه التصرفات التي تفقد أصحابها كرامتهم وحريتهم وتعرض الوحدة الوطنية الفلسطينية للتمزق وتؤدي في الساحة الفلسطينية إلى حافة الإقتتال من خلال استعداد أصحاب هذه التصرفات لتحقيق وتنفيذ وظائف أمنية لصالح مغتصبي الأرض بدل تحريرها ويهيبون بقوى الجهاد والصمود في فلسطين وفي الوطن العربي الإسلامي للتعبير عن استنكارهم لمثل هذه الأفعال.

تسقط الخيانة

المجد والخلود لشهدائنا

الجزائر 1999/2/25

أحمد بن بلا الرئيس الأسبق للجمهورية الجزائرية - خالد بن اسماعيل الأمين العام للحركة من أجل الديمقراطية في الجزائر - عبد الله جاب الله رئيس حركة الإصلاح الوطني - حملاوي عكوشي نائب في البرلمان - عمر غربي نائب في البرلمان - عبد العزيز بلخادم رئيس المجلس الوطني الشعبي سابقاً - العربي الزبيري رئيس منتدى الفكر والثقافة

تصريح صحفي صادر عن اللجنة الوطنية العليا للمتابعة

أدلى الأخ خالد الفاهوم رئيس اللجنة الوطنية العليا للمتابعة المنبثقة عن المؤتمر الوطني رداً على ماجاء في وسائل الإعلام والبيانات والتصريحات التي تصدر عن الجبهة الديمقراطية وبعض قيادييها حول صدامات ومشاكل في المخيمات الفلسطينية.

إن ما جاء في هذه التصريحات والبيانات عار عن الصحة ولايمت للحقيقة بصلة، حيث تسعى القوى الفلسطينية جميعها للحرص على أمن المخيمات وعدم التوتير وعدم إعطاء أي فرصة للمس بأمن مخيمات شعبنا. ونتمنى من وسائل الإعلام توخي الدقة والتأكد من الجهات المسؤولة في لجنة المتابعة الوطنية العليا حيث أن كافة الفصائل والقوى والشخصيات متفقة على مواقفها وعلى ما صدر عنها من مواقف تجاه الجبهة الديمقراطية.

اللجنة الوطنية العليا للمتابعة

دمشق ١٩٩٩/٢/٢٤

بيان صادر عن اللجنة الدولية لمنظمات حقوق الإنسان

هل من مكان في العالم لايدان فيه المناضلون من أجل الحرية كارهابيين؟

بعد خمسين عاماً على الإعلان العام عن حقوق الإنسان أصبحت حقوق الإنسان موضوعاً عاماً فما زال ثلاثة أرباع الإنسانية يعانون يومياً وتحولت الثروات الإجتماعية العامة إلى ملكية لعدد محدود من الناس، وأصبح الحديث عن حقوق الإنسان خاضعاً لمنطق القوة.

والنقطة الهامة هي: ما العمل؟ وما الذي يحدث؟

قمع السجناء السياسيين في تركيا يُبرر على أنه مقاومة لأشخاص يثيرون المشاكل. والمجزرة ضد البرازيليين المحرومين من الأرض تُبرر تحت عنوان حماية الملكية. وتعذيب السجناء في إسرائيل هو لحماية عملية السلام. في تجاهل تام لإتفاق جنيف الذي منح الحماية لهؤلاء جميعاً.

نحن منظمات حقوق الإنسان ولجان التضامن والمجموعات الثورية في فلسطين وكردستان وتركيا وإيطاليا والباسك والمانيا، نشهد في بلداننا ممارسات للتعذيب والقتل وتغييب لأناس يحولون إلى مفقودين، وهناك حرب قذرة مستمرة وتعذيب وعزل في السجون..

في بلداننا عشرون ألف سجين سياسي وعلى المستوى العالمي ربما وصل العدد إلى مائة ألف.

أما فلسطين فعند الحديث عنها هذه الأيام لايتم الحديث عن الإحتلال وإنما عن السلام.

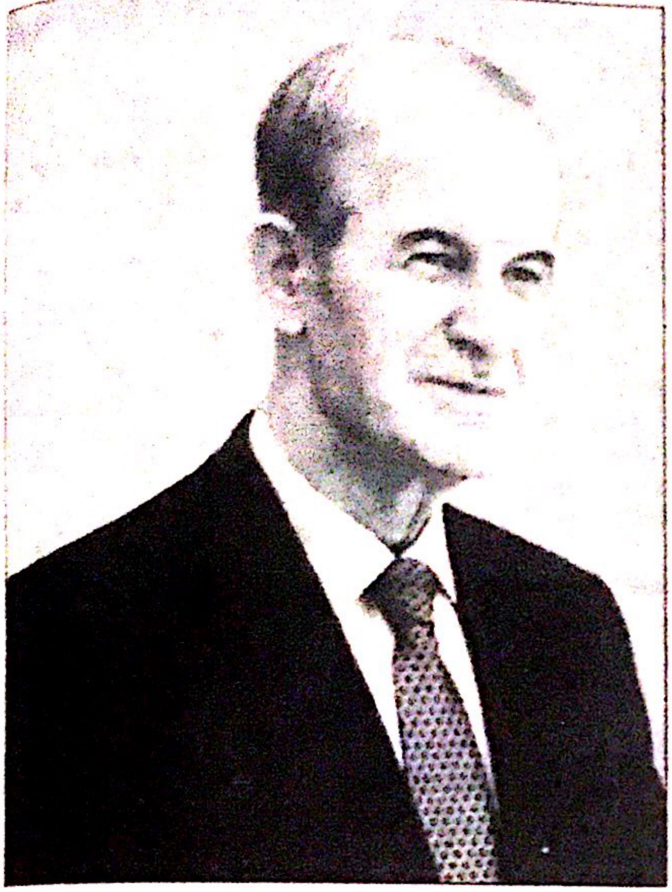
ولكن أي نوع من السلام هذا بوجود ٣٠٠٠ سجين سياسي؟

والسوهارتية مستمرة في أندونيسيا والنقابيون والمحاربون من أجل الحرية في تيمور مازالوا في السجون.

(لنجمع خبراتنا وقدراتنا معاً من أجل الحرية للسجناء السياسيين في العالم).

إعادة انتخاب الرئيس حافظ الأسد لولاية دستورية جديدة

تأكيد على التمسك بالثوابت



د. ماهر الطاهر

شهدت دمشق في النصف الأول من شهر شباط عملية إعادة انتخاب الرئيس حافظ الأسد لولاية دستورية جديدة، قال فيها أبناء سوريا: نعم لقائد عربي استراتيجي كبير جعل من سوريا قوة ملموسة ومركز استقطاب لكل الأحرار من أبناء الأمة العربية.

إن إعادة انتخاب الرئيس حافظ الأسد، خاصة في ظل الظروف الراهنة، والتحديات التاريخية الكبرى التي تواجه العرب، يأتي ليبعث في نفوس الجماهير العربية المزيد من الثقة والأمل في قدرتها على تحقيق أهدافها في انتزاع حقوقها مهما كانت الشدائد والمحن.

لقد برهنت مسيرة السنوات الطويلة الماضية، وفي ظل التحولات والإنعطافات الدولية والإقليمية الكبرى أن سوريا باتت القلعة الصلبة للعرب أمام ما يتعرضون له من أخطار ومخططات معادية بلغت درجة عالية من الخطورة لم تعد خافية على أحد. ولاشك ان سر نجاح سوريا ومنعتها وصلابتها والتفاف الجماهير العربية حولها يعود لأسباب عديدة أبرزها:

أولا:

المنطلق القومي العميق والثابت في تفكير الرئيس حافظ الأسد، والذي لاتحكم نظرته مصالح سوريا الوطنية فحسب، بل ينطلق دائماً من ناظم عام أشمل هدفه الجوهري حماية الأمن القومي والمصالح الإستراتيجية العليا للأمة العربية. وهذا ما يفسر اهتمام كل العرب ومتابعتهم وانشدادهم لمواقف سوريا وسياساتها.

لقد انطلقت السياسة السورية من تصور قومي شامل للصراع مع الصهيونية وإسرائيل، وبالتالي فقد رفض الرئيس الأسد بكل وضوح الحلول المنفردة مؤمنا بأن إسرائيل ارادت الإنفراد بكل طرف عربي على حدة لتحقيق أكبر قدر ممكن من مصالحها وأهدافها التوسعية، وهذا ما اكدته مسيرة الأحداث والتطورات ووقائع الحياة خلال السنوات الماضية.

ثانياً:

صمود سوريا وإصرارها على التشبث بالحقوق الوطنية والقومية رغم اختلال موازين القوى العالمية وانقسام الصفوف العربية، وذلك من منطلق التمسك بثوابت سياسية لايمكن الحياد عنها مهما كانت التبدلات والتحولات والظروف المجافية دولياً واقليمياً لأن مصائر الشعوب والأوطان ومستقبل الأجيال والأمم لاتحكمه وفق رؤية الرئيس حافظ الأسد موازين قوى مؤقتة وظروف ليس لها صفة الثبات والدوام، يحاول العدو من خلالها فرض مفهومه لسلام زائف يقوم على منطق الغطرسة والقوة والعدوان.

لقد برهنت سوريا على امتلاك إرادة سياسية صلبة لاتعرف اليأس والكلل، واضحة، لاتهزها الرياح مهما كانت عاتية وقوية، وهذا ما أكدته مسيرة السنوات الطويلة الماضية عندما قالت دمشق بكل وضوح وجلاء لا لمنطق العدوان والإرهاب واغتصاب الأرض، نعم لسلام شامل وحقيقي قائم على أساس مبادئ القانون والشرعية الدولية يعيد الحقوق كاملة لأصحابها. وإلاّ فإننا سنكون أمام منطق مقلوب لن يؤدي إلا إلى المزيد من التوتر

وعدم الإستقرار.

لقد مارس الأعداء على سوريا الكثير من الضغوط، وعلى أكثر من صعيد ومستوى ومن أكثر من جهة متوهمين أن ذلك وفي ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد والتشرذم العربي سيؤثر في السياسة السورية. لكن هذه الضغوط باءت بالفشل ولم تحقق أياً من أهدافها، ولم تزحزح الرئيس الأسد عن ثوابته ومرتكزات رؤيته للسلام ليس كما تفهمه وتحاول فرضه إسرائيل، بل كما يقره منطق القانون الدولي وعلى اساس الإنسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي العربية المحتلة.

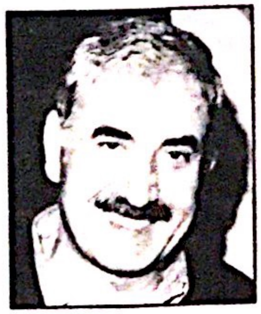
وهكذا فالسلام ليس استسلاماً، والسلام بدون كرامة وسيادة وبدون ضمان بديهيات الحق العربي هو سلام زائف لن تكتب له الحياة وفاقد لمقومات الإستمرار والبقاء. هذا ما تؤكده سوريا على الدوام ولذلك فإنها تكسب كل يوم المزيد من الإحترام من كافة القوى الحية في الأمة العربية.

ثالثاً:

الرؤية الإستراتيجية السورية التي انطلقت وتنطلق دائماً من اولوية التناقض الرئيسي مع المشروع الصهيوني في المنطقة، الذي لايستهدف شعب فلسطين وسوريا ولبنان ومصر والأردن فحسب، بل يستهدف الأمة العربية بأسرها للسيطرة على ثرواتها ومقدراتها ومحاولات إحداث المزيد من التجزئة والتفتيت في صفوفها ولذلك فإن رؤية الرئيس الأسد وانظاره تنشد بالأساس نحو الخطر الصهيوني واستهدافاته الكبرى في الوطن العربي، وهذا ما يفسر التأكيد الدائم على أهمية التضامن العربي واخضاع التناقضات الثانوية لصالح التناقض الأول مع العدو القومي، وهذا ما يفسر الحكمة والتروي والرؤية العميقة في التعامل مع الأزمة التي نشبت مع تركيا والتي تم من خلالها تفويت الفرصة على إسرائيل وأهدافها العدوانية.

إن إعادة انتخاب الرئيس والقائد العربي الكبير حافظ الأسد لولاية دستورية جديدة، يؤكد إصرار سوريا على مواصلة الكفاح ومواجهة التحديات مهما كانت المصاعب والتضحيات ■■

د. جورج حبش يبرق مهنئاً للرئيس حافظ الأسد بمناسبة إعادة انتخابه لولاية دستورية جديدة





الرئيس المناضل حافظ الأسد المحترم
رئيس الجمهورية العربية السورية
تحية كفاحية وبعد،

بمناسبة اعادة انتخابكم رئيساً للجمهورية العربية السورية لفترة رئاسية جديدة، يطيب لي بالأصالة عن نفسي والإنابة عن رفاقي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قيادة وكوادر، ومناضلين داخل الوطن المحتل، وفي الشتات أن أبعث لكم بأسمى آيات التهاني والتبريكات.

سيادة الرئيس

إن النهج القومي الصامد الذي كرستموه في الدفاع عن قضايانا الوطنية، والقومية، وترجماته السياسية المبدئية الثابتة والتي أثارت حفيظة وقلق أعداء أمتنا تدفعنا لنؤكد مجدداً لسيادتكم مساندتنا، ودعمنا لذلك النهج، وتلك السياسة التي شكلت وماتزال وبحق خط الدفاع الأول عن الأمة العربية ومستقبلها، وطموحات أبنائها في التحرر وتبوء المكان اللائق بهذه الامة بين سائر الأمم.

إن الإرادة الشعبية العارمة التي عبرت عنها الجماهير العربية السورية بهذه المناسبة تعبر عن دعم ومساندة تلك الجماهير لخطكم النضالي ومواقفكم المبدئية الثابتة من قضايا العرب الوطنية والقومية. وما موقفكم من قضيتنا الفلسطينية سوى دليل آخر ساطع على عظمة، ونبل مواقفكم الوطنية والقومية، ونحن على يقين أكيد أن نهجكم في مقارعة الأعداء والدفاع عن مصالح الوطن، والأمة سيستمر.

سيادة الرئيس

نؤكد لكم بهذه المناسبة استمرارنا في مقاومة كل أشكال تركيع أمتنا، وشعبنا، ولن ندخر جهداً نملكه في مقاومة المخططات السياسية التصفوية الرامية إلى الإجهاز على القضية الفلسطينية، وترسيخ دعائم الكيان الصهيوني الغاصب.

وأخيراً، وليس آخراً نتمنى لسيادتكم دوام الصحة والعافية وتحقيق المزيد من التقدم والنجاح لتبقى سوريا قلعة النضال العربي، ورمز شموخه.

د.جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ويهنئه بمناسبة الذكرى ٣٦ لثورة آذار المجيدة

سيادة الرئيس/ حافظ الأسد
الأمين العام لحزب البعث العربي الإشتراكي
رئيس الجمهورية العربية السورية
تحية العروبة والنضال وبعد:

بمناسبة الذكرى السادسة والثلاثين لثورة آذار المجيدة، لايسعني إلا أن أتقدم باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكافة قيادتها وكوادرها وأعضائها، وباسم الشعب العربي الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، وباسمي شخصياً، لكم ومن خلالكم للشعب العربي السوري شعباً وجيشاً وقيادةً بأحر التهاني وأطيب التبريكات.

سيادة الرئيس/

إن الشعب العربي الفلسطيني، ليشارككم فرحتكم بهذه المناسبة العزيزة على قلوب كل الشرفاء والأحرار في الوطن العربي لايسعنا في هذا اليوم إلا أن نحيي سوريا الصامدة الأبية وشعبها المناضل ونشد على أياديكم، مؤكدين لكم أننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سنبقى أوفياء لدماء شهدائنا وأن نستمر في النضال على كافة الأصعدة ونبقى معكم في الخندق الأمامي للأمة العربية حتى تحرير الأراضي العربية المحتلة في الجولان وجنوب لبنان وفلسطين، ويحقق شعبنا العربي الفلسطيني حقوقه الثابتة والمشروعة والغير قابلة للتصرف وفي المقدمة منها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس على ترابه الوطني.

سيادة الرئيس/

أغتنم هذه الفرصة لنجدد لكم التهاني والتبريكات، متمنيا لكم الصحة والعافية ولسوريا مزيداً من التقدم والإزدهار تحت قيادتكم الحكيمة.

د. جورج حبش

تحرير أرنون وعمليات المقاومة الوطنية في جنوب لبنان تؤكد:

فشل نظرية «الحزام الأمني» وعمق المأزق الإسرائيلي

عصام سلامة

بعد تحرير أرنون وعمليات المقاومة الوطنية اللبنانية، عادت قضية الإنسحاب الإسرائيلي من الشريط الحدودي المحتل في جنوب لبنان لتحتل الصدارة من جديد في الإهتمام المحلي والعربي والدولي، بعد أن هدأت إلى حدٍ ما الرياح العاتية والتي هبّت على لبنان في الأسابيع الثلاثة الماضية، إثر التصعيد العسكري الإسرائيلي الواسع النطاق «براً وبحراً وجواً» على مختلف المناطق اللبنانية، حيث بلغ عدد الغارات الجوية التي شنتها إسرائيل ٢٣ غارة خلال يوم واحد فقط، فرضت على المنطقة طابعاً من السخونة، خاصة مع اقتراب موعد الإنتخابات الإسرائيلية المقبلة، والتي تغرق المأزق الإسرائيلي في المستنقع اللبناني.



حدث هذا التطور الخطير على إثر تصاعد وتيرة العمليات العسكرية النوعية للمقاومة الوطنية اللبنانية في الجنوب المحتل، والتي أدّت إلى ارتفاع كبير في خسائر العدو الصهيوني بشكل ملحوظ، حيث وصل عدد القتلى (في أقل من أسبوع) إلى أكثر من سبعة جنود بينهم ستة من كبار الضباط الإسرائيليين، كان آخرهم (الجنرال) إيرز جيريشتاين قائد قوات الإرتباط في المناطق اللبنانية المحتلة.

وكادت هذه التطورات الأخيرةأن تطيح بصيغة «تفاهم نيسان» ٩٦م، لولا الإتصالات المكثفة مع كافة الأطراف المعنية بلجنة المراقبة والتي نجحت في نهاية المطاف من ضبط الأوضاع واعادتها إلى وضعها الطبيعي، مع بقاء الهدوء والترقب والحذر يسيطر على الموقف حتى الآن.

وقد تخلل هذه الأحداث حدث هام ألقى بظلاله على المنطقة برمتها، تمثل في عملية تحرير بلدة أرنون الجنوبية (في نهاية شهر شباط (فبراير) الماضي، بسواعد انتفاضة طلبة لبنان السلمية المدهشة والشجاعة بعد تسعة أيام فقط من الأسر، حيث تمكن طلبة لبنان وشبابه بالتقدم نحو بلدة ارنون، في وضح النهار وقاموا باقتلاع الأسلاك الشائكة المحيطة بالبلدة غير آبهين بالألغام ومتحدين رصاص العدو الذي كان يرصد حركتهم من قلعة الشقيف المطلة على البلدة بذهول وخيبة أمل عاجزاً عن فعل أي شيء.

وسبق أن قام العدو الصهيوني مؤخراً بضم بلدة أرنون إلى الشريط الحدودي وأحاطها بالأسلاك الشائكة، وعزلها عن منطقة النبطية وذلك في سياق خطوة عدوانية توسعية استفزازية جديدة بهدف الضغط على الحكومة اللبنانية للإستفراد بها وجرها إلى عقد ترتيبات أمنية مناسبة معه تكون في مصلحته.

إن عملية تحرير أرنون وكذلك عمليات المقاومة الوطنية اللبنانية النوعية ضد العدو الصهيوني في جنوب لبنان وكذلك التحالف الوطني الشعبي والرسمي للشعب اللبناني، قد أعاد إلى الأذهان مجدداً طرح قضية الإنسحاب الإسرائيلي من الشريط الحدودي المحتل، وأثبت بما لايدع مجالاً للشك فشل نظرية «الحزام الأمني»، وعمق المأزق الإسرائيلي في جنوب لبنان.

أصل مشكلة «الحزام الأمني»:

لقد اسس الإجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان في العام ١٩٧٨م، لما عُرف لاحقاً بمنطقة الشريط الحدودي أو ما سُمي «الحزام الأمني» المزعوم، على طول الحدود الدولية بين لبنان وشمال فلسطين المحتلة، وذلك بالتعاون مع بعض الفئات المحلية العميلة والمسماة بجيش «لبنان الحر»، وذلك كغطاء شكلي لتسويغ احتلاله لهذه المنطقة من جنوب لبنان، تحت حجة حماية المستوطنات من هجمات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية المتحالفة معها والمتواجدة هناك.

وقد تعمق نفوذ هذا الشريط الحدودي خاصة بعد اجتياح القوات الاسرائيلية للبنان في العام ١٩٨٢، وخروج قوات الثورة الفلسطينية من لبنان، إلا أن الحركة الوطنية اللبنانية سرعان ما استجمعت قواها، وعادت لمقاتلة العدو الصهيوني وعملائه واستمرت في كفاحها المرير معه موقعة خسائر كبيرة في صفوف قوات الاحتلال.

لقد برزت إلى السطح المقاومة الاسلامية

والوطنية كقوة سياسية وعسكرية رائدة والتي أخذت على عاتقها زمام المبادرة في مواجهة العدو الصهيوني وعملائه.

وفي السنوات الأخيرة تمكنت المقاومة الاسلامية والوطنية اللبنانية من تطوير وسائل قتالها بشكل نوعي، وألحقت بقوات العدو الصهيوني خسائر فادحة، وعلى سبيل المثال لا الحصر: «لقد نفذت المقاومة الوطنية اللبنانية في العام ٩٨ أكثر من (١٥١٨) عملية عسكرية (٨٠٪ منها عبوات ناسفة)، حصدت حسب البيانات الاسرائيلية (٢٤) قتيلاً و(١٤٤) جريحاً فيما قتل (٣٤) جندياً من جيش لبنان الجنوبي وجرح (٥٣) آخرون. (النهار - ٩٩/١/٤) وفي الشهرين الماضيين من العام الحالي ٩٩، نفذت المقاومة الوطنية اللبنانية عدة عمليات عسكرية ناجحة منها (٣) عمليات عسكرية نوعية ألحقت بالعدو خسائر جسيمة، حيث أربكت قوات الاحتلال وأضعفت كثيراً من معنوياته المنهارة.

إن هذه الحقائق والمعطيات تؤكد فشل نظرية «الحزام الأمني» المعلنة منذ العام ٨٥ وكذلك تثبت عدم القدرة الاسرائيلية على إنهاء المشكلة في جنوب لبنان بالرغم من الاجتياحات الكبيرة للأراضي اللبنانية مما أدى إلى زيادة الضغط الداخلي في اسرائيل والتي تطالب جميعها بمغادرة المستنقع اللبناني بأي ثمن.

القضية اللبنانية
وقرارات الشرعية الدولية:

لقد أيّدت الشرعية الدولية ومجلس الأمن الدولي الحق اللبناني في قضية الشريط الحدودي المحتل من جنوب لبنان، ورغم ذلك لاتزال اسرائيل تضرب بعرض الحائط قرارات الشرعية الدولية ومن هذه القرارات، القرار رقم (٤٢٥) الخاص بجنوب لبنان المحتل من قبل اسرائيل.

لقد صدر قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٤٢٥) بتاريخ ١٩ آذار (مارس) ١٩٧٨ أي بعد خمسة أيام فقط على الاجتياح الاسرائيلي لجنوب لبنان في العام ١٩٧٨، وأهم ما جاء في بنود هذا القرار بالنص الآتي:

١- يدعو إلى الاحترام الدقيق لسلامة أراضي لبنان وسيادته واستقلاله السياسي، ضمن حدوده الدولية المعترف بها.

٢- يدعو اسرائيل إلى أن توقف عملياتها العسكرية ضد سلامة أراضي لبنان، وأن تسحب فوراً قواتها من كل الأراضي اللبنانية.

لكن اسرائيل تشترط لموافقتها على تنفيذ القرار (٤٢٥) بمطالبتها بضمانات أمنية، وذلك بنصب فخ للحكومة اللبنانية لجرها لمفاوضات شبيهة باتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣، وكاد لبنان أن يصبح فريسة في قبضة اسرائيل لولا دعم سوريا للبنان ووقوفها ضد هذا الاتفاق والذي ما لبث أن سقط بعد ذلك نهائياً.

ولم تكن اسرائيل لتستمر في موقفها المتعنت من قرارات الشرعية الدولية لولا الدعم المتواصل واللامحدود لها من الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها المنحاز لاسرائيل على حساب المصالح والحقوق المشروعة للشعوب العربية، ففي الوقت الذي تصر فيه أمريكا على أن يلتزم العراق بالتنفيذ الكامل لقرارات الأمم المتحدة وتفرض عليه حصاراً شاملاً منذ أكثر من ثمان سنوات، عانى بسببه الشعب العراقي من ويلات الجوع والفقر والمرض وخلافه. نراها في نفس الوقت تغض النظر بل وتتستر على ممارسات اسرائيل العدوانية، سواء فيما يخص تنفيذ القرار (٤٢٥) الخاص بجنوب لبنان أو الانسحاب من الأراضي الفلسطينية أو بما يتعلق بقضية الانسحاب من الجولان وهذا هو جوهر السياسة الأمريكية ذات المعايير المزدوجة في تعاملها مع منطقتنا العربية.

الانتخابات الاسرائيلية ومأزق الانسحاب:

مع اقتراب موعد الانتخابات الاسرائيلية المقرر في ١٧ أيار ٩٩، ومع ازدياد الخسائر العسكرية الاسرائيلية في لبنان وخاصة في الأسبوع الأخير من شهر شباط (فبراير) الماضي، على إثر تصاعد العمليات العسكرية النوعية للمقاومة الوطنية اللبنانية، أعادت هذه التطورات من جديد مسالة طرح موضوع الانسحاب الاسرائيلي من الشريط الحدودي لتتفاعل في مختلف الأحزاب والقوى السياسية الاسرائيلية بكل تلاوينها سواء من (اليمين أو اليسار أو الوسط)، لأن الخيارات المطروحة أمام الحكومة الاسرائيلية أصبحت محدودة في محاولة لتقليل الخسائر البشرية في القوات الاسرائيلية وكذلك تقليل الخسائر السياسية في الانتخابات العامة المقبلة، حتى أن الصحف الاسرائيلية الرسمية باتت تتحدث عن القلق من هذا الموضوع بشكل واضح وملموس، فقد ذكرت مصادر اسرائيلية حسب صحيفة «هآرتس» أن «المجلس الوزاري المصغر للحكومة ناقش بشكل أولي فكرة الانسحاب من طرف واحد»، كما تحدثت الصحيفة: «ان اقتراحاً جديداً أثير في هذا الاجتماع، ويحظى بتأييد عدد من الوزراء يقضي بانسحاب من «الحزام الأمني الحالي» وإقامة «حزام أمني ضيق» بعمق اثنين إلى ثلاثة كيلو مترات من الحدود الدولية، وهذا الاقتراح تقدمت به المؤسسة العسكرية كأحد البدائل المطروحة يتم انشاء سياج الكتروني وتقام عوائق معقدة على طول الخط الأمني الجديد، وكذلك قدمت اقتراحات أخرى من بينها الاستمرار في الوضع القائم أو القيام بمبادرة عسكرية واسعة وكذلك رأى المحلل العسكري الاسرائيلي رون بن يشاي: «إلى أن الحكومة الحالية اختارت البقاء في لبنان إلى أن يتوصل السوريون إلى استنتاج مفاده أنهم مستعدون للموافقة على حل وسط في الجولان». إذاً هناك مواقف متباينة ومتشابكة من المواقف الاسرائيلية سواء بين اليمين أو اليسار أو الوسط من موضوع الانسحاب، ولكن يمكن حصرها في ثلاثة خيارات أو ثلاثة احتمالات هي: ١- لا انسحاب. ٢- انسحاب من طرف واحد. ٣- انسحاب بالتفاوض. فالخيار الأول يمثله اليمين المتطرف ويتبناه وزير الدفاع الاسرائيلي المتشدد موشي أرينز والخيار الثاني يتبناه تيار غير متجانس من اليمين واليسار وعلى رأسهم من اليمين شارون وكهلاني ومن اليسار شمعون بيريز ويوسي بيلين، أما الاقتراح الثالث فيتبناه رئيس الوزراء الاسرائيلي نتنياهو وكذلك وزير الدفاع السابق اسحق مردخاي (قبل خروجه من الليكود وتزعمه حزب الوسط).

المغزى الشعبي لتحرير أرنون:

إن عملية تحرير أرنون من خلال المسيرة الانتفاضية الشجاعة لطلبة لبنان، والتي تحدّت رصاص الاحتلال الصهيوني، إنما جسدت إرادة الحياة والاصرار على التحدي والانتصار كما عبرت عن عمق الارادة الشعبية المتماسكة والقوية، وفي نفس الوقت أعطت الدروس والعبر، وحركت الملف اللبناني الجنوبي برمته، وأعادت الحيوية إلى المطالبة بتطبيق القرار (٤٢٥) وفق وجهة النظر اللبنانية، وأبلغت المجتمع الدولي عموماً والولايات المتحدة خصوصاً باستحالة استمرار الاحتلال الاسرائيلي للأراضي اللبنانية.

ان هذا التماسك الشعبي والارادة الجماهيرية الصلبة والاجماع الوطني سوف يمكن لبنان من مواجهة الأخطار الخارجية والعدوان الاسرائيلي خاصة بعد التطورات الأخيرة في الموقف الاسرائيلي الخاص بقضية جنوب لبنان ورغبتها الواضحة في التراجع عن صيغة تفاهم نيسان وتحذيرها المتكرر من عدم تكرار تجربة أرنون في مناطق أخرى من لبنان. وهذا أيضاً يتطلب ضرورة الدعم العربي والرسمي والشعبي لكفاح الشعب اللبناني في حقه باستعادة أراضيه المغتصبة وتحريرها من العدو الصهيوني■■

الحزب الشيوعي اللبناني يعقد مؤتمره الوطني الثامن في بيروت

عقد الحزب الشيوعي اللبناني مؤتمره الوطني الثامن في بيروت في الفترة ما بين ٢٨-٣٠ كانون الثاني ١٩٩٩م. واستمر المؤتمر ثلاثة أيام، وذلك بحضور العديد من وفود الدول العربية والصديقة وكذلك ممثلين عن الأحزاب الشيوعية العربية والأجنبية.

كما حضر المؤتمر وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام. وبعد افتتاح أعمال المؤتمر وانتخاب هيئة الرئاسة واقرار جدول الأعمال، تم تشكيل اللجان السياسية والتنظيمية، وقراءة ومناقشة التقارير حيث تم مناقشة مشروع الوثيقة البرنامجية للحزب، ومشروع التقرير التقييمي ومشروع النظام الداخلي للحزب وتقرير لجنة الرقابة، وتقرير الأمين العام ومما جاء فيه:

إنها لمصادفة غنية بالدلالات أن ينعقد المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي اللبناني في مطلع العام الحالي الذي نحتفل فيه بالعيد الخامس والسبعين لنشوء الحزب.

فالدلالة الأولى لهذه المصادفة، أن الحزب الشيوعي اللبناني هو أقدم الأحزاب اللبنانية فهو لذلك غني بالتجارب التاريخية وحافل بالكفاح على كل الجبهات رائد في حمل ونشر الأفكار الجديدة باسم الإشتراكية وهو حزب مليء بالتضحيات من أجل الشعب والوطن، وهو مطلق الشعار المعروف، شعار النضال بلا هوادة «من اجل وطن حر وشعب سعيد» وهو بهذه الأفكار الكفاحية قد شكل مع أحزاب عربية أخرى راديكالية واشتراكية وقومية استمراراً لحركة النهضة وتواصلاً معها ومع أفكارها التنويرية ذات الطابع التحرري التقدمي.

وأضاف التقرير: أن الدلالة الثانية للحزب الشيوعي اللبناني كان منذ ولادته في السنوات الأولى للإنتداب الفرنسي على لبنان وسوريا جزءاً «أساسياً مكوناً» من الحركة الوطنية والشعبية وهي التي حملت راية النضال من أجل الإستقلال ومن أجل انتصار افكار الحرية والديمقراطية والتقدم وظل قوة أساسية ضد الإستعمار القديم والجديد دفاعاً عن الإستقلال.

والدلالة الثالثة للحزب الشيوعي اللبناني أنه كان ولايزال حزباً عربي التوجه مناضلاً من أجل تحرير كامل الأراضي العربية في مشرق العالم العربي ومغربه ومع وحدة الأمة. وكان دائماً إلى جانب حق الشعب الفلسطيني في نضاله العادل من أجل الحرية والإستقلال وتقرير المصير والدلالة الرابعة للحزب الشيوعي اللبناني أنه صاحب فكرة التجديد الدائم لفكره وسياساته وممارساته حزباً لبنانياً عربياً، حزباً للتقدم والعدالة الإجتماعية والإشتراكية والدلالة الخامسة أن المؤتمر الوطني الثامن للحزب يشكل انعطافاً في هذا الكفاح الطويل من أجل مستقبل أفضل للشعب والوطن والأمة.

وأضاف تقرير الأمين العام للحزب: لقد توقفت مشاريع الوثائق سواء الوثيقة الفكرية - السياسية - التنظيمية، ومشروع التقرير التقييمي لهيئات الحزب القيادية،ومشروع النظام الداخلي، توقفت جميعها باسهاب عند الأحداث والمنعطفات التي مر بها الحزب والمشاكل التي واجهته والمعارك التي خاضها حول مختلف القضايا، وقدمت هذه الوثائق تحليلاً معمقاً لمسار التطور، وتوقفت عند عناصر الخلل التي واجهت عمل الحزب وعند الأخطاء التي وقع فيها، كما توقفت عند الإنجازات التي تحققت، والتي لم تستطع هذه الصعوبات على اختلافها، ان تحول دون تحقيقها.

وقد تطرق التقرير إلى أربع صعوبات تخللت مسيرته الكفاحية، فالصعوبة الأولى تمثلت في ما واجهه الحزب وما واجهته البلاد في مرحلة ما بعد الحرب الأهلية، أي مرحلة السلم الأهلي، ومن أبرز سمات هذه المرحلة، ان جملة من المتغيرات المحلية والإقليمية قد أسهمت في مفاقمة ما كان قائماً من تشرذم في القوى الوطنية والديمقراطية وفي تحجيم متعمد لدور الحزب الشيوعي خصوصاً واليسار عموماً في حياة البلاد، والمصدر الثاني لهذه الصعوبات هو ما شهده الوضع العربي من ترد وتراجع بصفة عامة وأن حرب الخليج فاقمت هذا الوضع ليس بالنسبة للعراق فقط بل بالنسبة لكل الدول العربية.

لقد ضعفت إلى الحد الأدنى القدرة السياسية والإقتصادية عند هذه الدول، في مواجهة أزماتها الداخلية، وفي التصدي للضغوط وسائر أشكال التدخل الخارجي في شؤونها، وضعفت استقلاليتها وتراجع التضامن فيما بينها وتراجع دور الجامعة العربية، فاصبحت المقدرات السياسية والإقتصادية في معظمها، بيد الولايات المتحدة الأمريكية؟

والمصدر الثالث للصعوبات، تمثل في الزلزال الكبير الذي أدى إليه انهيار الإتحاد السوفيتي، والذي نتج عنه متغيرات كبرى في الوضع الدولي، وسادت نظريات مختلفة حول نشوء نظام عالمي جديد، وحول القرية الكونية، وحول العولمة وترافق ذلك مع تحول الولايات المتحدة الأمريكية إلى شرطي عالمي يتدخل في شؤون جميع البلدان كبيرها وصغيرها ويفرض الحصارات هنا وهناك، ويرسل قواته للعدوان والغزو، متجاوزاً الأمم المتحدة، مخالفاً لقراراتها وهيئاتها بشكل فظ، ومتعسف وتحدث التقرير عن المصدر الرابع للصعوبات وهو المتمثل بالأزمة الداخلية للحزب، وهي أزمة كانت قد بدأت خلال فترة التحضير للمؤتمر السادس للحزب، أي مع انتهاء الحرب الأهلية والنتائج التي اسفر عنها التطبيق المشوه لإتفاق الطائف، وكانت الأزمة حدثاً «طبيعياً» للحزب باعتباره يتبنى مشروعاً راديكالياً للتغيير، وباسم الإشتراكية.

غير أن هذه المصادر المتعددة للصعوبات لم تمنع الحزب من متابعة نضاله، على مختلف الجبهات، ولم تمنعه من متابعة حركة التجديد في فكره وفي سياساته، ولم تثنه عن خياره الديمقراطي، وإذا كان دور الحزب قد تراجع في المقاومة في السنوات الماضية لأسباب ذاتية، فإن جهود الحزب سمحت له بمعاودة نشاطه في هذا الميدان من الكفاح.

ولعل العمليات الأولى التي استشهد فيها رفيق لنا واسر رفيق آخر كانت البداية حيث تمثل ذلك في ثلاثة احتفالات جماهيرية للحزب، الأول في احياء ذكرى الشهيد بيار ابو جوده، والثاني في استقبال الأسرى المحررين، والثالث في استقبال المناضلة سهى بشارة، وكانت المشاركة الشعبية الواسعة في هذه الاحتفالات تعبيراً عن بداية النهوض.

وفي الختام أكد تقرير الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني على وحدة الحزب الداخلية وعلى جدل العلاقة بين الديمقراطية والمركزية، وفي نهاية المؤتمر صدر بيان ختامي أكد على سياسة الحزب الوطنية في كافة المجالات، واصرار الحزب على الإستمرار بكفاحه وعلى مختلف المستويات لتحقيق أهداف الشعب اللبناني في الحرية والتقدم ■■

الحرب المستمرة على العراق
هل يدرك العرب ما يحاك ضدهم؟

ما إن قدم «باتلر» تقريره المشؤوم لمجلس الأمن، حتى بدأت قرقعة السلاح الانجلو ـ أمريكي تدب في صحراء العرب ومياههم موجهة الحمم الجهنمية من فوهاتها باتجاه أطفال وشعب العراق الشقيق.

حينها وقف العالم مشدوهاً لهول ما يحصل من دمار في جزء عزيز من الوطن العربي المترامي الأطراف. وبات جلياً للعالم أجمع أن السياسة المعادية للعراق والتي تقودها الدوائر الصهيونية في البيت الأبيض و ١٠ داونينغ ستريت في لندن إنما هي استهداف للوجود العربي بأكمله، وإن تصفية العراق إنما تصب في خانة الجزرة الكبرى التي تحاك ضد العرب جميعاً.

منذ تلك اللحظة ومن وقت أسبق بكثير، كان معروفاً للمواطن العربي العادي أن هدف السياسة الأمريكية هي القضاء على العراق ومحيه عن الخريطة السياسية للعالم من خلال محاولات تقسيمه وتفتيته إلى دويلات متصارعة.

هذه السياسة كانت أعلنت عنها الإدارة الأمريكية سابقاً وحالياً بشكل واضح وجلي للعيان. وهي في جوهرها أن العقوبات لن تزول مادام النظام الحالي موجوداً في بغداد. ولكن الأمر بحد ذاته يتجاوز هذا الحديث المجرد حيث أن السياسة الأمريكية تهدف فيما تهدف إلى تفتيت العراق وإلغاء وجوده وبالتالي القضاء على دوره الإقليمي والعالمي.

وعلى الرغم من معرفة الشارع العربي بأكمله لهذه الحقيقة، فإن الأمور تسير باتجاه محاولة ترسيم هذه السياسة على الصعيد العالمي وفرض سياسة الأمر الواقع بالقوة ومن خلال مجلس الأمن الدولي. لتأخذ طابعاً رسمياً وشرعية دولية لم يسبق ان شهد التاريخ واحدة مماثلة لما يحدث في العراق.

لقد أعلنت الولايات المتحدة وعلى لسان رئيسها بأنها ستعمل على إسقاط النظام في العراق، وفعلياً خصصت لهذه الخطة مبلغ ٩٧ مليون دولار لتنفيذ هذا المخطط. وفي نفس الوقت فقد أبقت على رأس أولوياتها خلق الفتن وزعزعة الإستقرار داخل العراق بداية من خلال القصف شبه اليومي الذي يتعرض له العراق وثانياً عن طريق تدبير مؤامرات تحاك في الداخل العراقي بهدف إشاعة الفتنة الداخلية.

إن المطلوب من العرب شعوباً وحكومات الوقوف بكل قوة وحزم ضد حرب الاستنزاف اليومي والهادفة إلى تدمير البنية التحتية للعراق بأقل ضجيج ممكن.

كما أنه مطلوب من العرب إدراك المخاطر الكبرى المترتبة على مخططات تقسيم العراق لأن هذه المخططات ما هي إلا المقدمة الأولى لمحاولة تفتيت بلدان عربية أخرى وتمرير سايكس بيكو جديد.

فهل يعي العرب مخاطر ما يجري وما يحاك ضدهم؟

أيمن عوض

بمناسبة الذكرى الـ ٨٧ لعيد ميلاد السيد كيم جونغ إيل القائد العظيم للشعب الكوري

في منهج توحيد كوريا ذي البنود الخمسة

المنهج ذو البنود الخمسة لتوحيد كوريا هو: إزالة المجابهة العسكرية وتخفيف التوتر ما بين الشمال والجنوب. إقامة التعاون والتبادل في وجوه عديدة بين الشمال والجنوب. عقد مجلس قومي كبير يضم ممثلين عن الشعب من كل الطبقات والفئات والأحزاب السياسية والمنظمات الإجتماعية في الشمال والجنوب. تأسيس اتحاد كونفدرالي للشمال والجنوب يحمل اسم دولة واحدة هي جمهورية كوريو الإتحادية، ودخول الأمم المتحدة تحت اسم دولة واحد هو جمهورية كوريو الإتحادية.

إزالة المجابهة العسكرية والتوتر ما بين الشمال والجنوب هي الآن المشكلة الأشد إلحاحاً وذات الأهمية الحاسمة من أجل تبديد سوء التفاهم وعدم الثقة، وتعميق التفاهم والثقة فيما بينهما مما يخلق جواً من الإتساق القومي الكبير ويحسن العلاقات ما بين الشمال والجنوب، ومن أجل بلوغ توحيد البلاد السلمي.

للتعاون والتبادل بين الشمال والجنوب في وجوهه العديدة أهمية بالغة من أجل رأب ما انقطع من أوصال الأمة وتوفير الشروط المسبقة للتوحيد. وليس إلا متى تحقق وإن التعاون والتبادل في وجوه متعددة بين الشمال والجنوب يمكن توطيد اتفاقية السلام الواجب عقدها ما بين الشمال والجنوب.

وإنه لمن الواجب أن يتم تأسيس اتحاد كونفدرالي للشمال والجنوب يحمل اسم دولة واحدة بغية استعجال توحيد كوريا. غني عن القول أن طرقاً مختلفة يمكن سلوكها لإتمام توحيد البلاد. في الوقت الراهن. إن أشد الطرق رشاداً لتوحيد كوريا هو عقد مجلس قومي كبير وتحقيق الإتساق القومي، وعلى هذا الاساس، تأسيس اتحاد كونفدرالي للشمال والجنوب مع ترك النظامين القائمين في الشمال والجنوب على حالهما في الوقت الحاضر.

معرض رسوم أطفال
تحت شعار: فلسطين في الذاكرة

أقامت اللجنة الثقافية بمقر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مخيم جرمانا ـ معرض رسوم الأطفال الثاني، والخط العربي. تزينت لوحات الأطفال الـ ٧٢ طفلاً.. المشاركين بالمعرض تزينت بألوان علمنا الفلسطيني. بلون أشجارها وثمار أشجارها وأزهار ربوعها. وضوء حجارتها، وحُسن طيورها.. وصفاء سمائها ودفء شمسها... وكحل عينيها، لوحات تنبض بالشوق والحرقة.. تنبض بالأمل في العودة.

كما وأقامت اللجنة الثقافية في اليوم الثالث لإفتتاح المعرض. أمسية شعرية للاطفال أحياها الشاعر: أحمد موسى الخطيب. تم من خلالها توزيع الهدايا على الأطفال الفائزين.

الفائزون بمعرض رسوم الأطفال:

١ـ أحمد علي ذيب./٢ـ ريم الخطيب/٣ـ علي دخل الله

الفائزون بدورة الخط:

١ـ معاذ بدر الدين المصري/٢ـ سهير نور الدين موسى/٣ـ وسام عبد الهادي

وعلى مدار ثلاثة أيام خص المعرض بالحضور من قبل آباء وأمهات وأخوات المشاركين في المعرض وقد لاقى ردود فعل إيجابية وثناء على الجبهة.

اللجنة الثقافية

قراءة في خطاب التطبيع

حلقة (١)

أمين اسكندر*

لاتصالح على الدم.. حتى بدم!

لاتصالح! ولو قيل رأس برأسٍ!

أكُل الرؤوس سواء؟!

أقلبُ الغريب كقلبِ أخيكَ؟!

أعيناه عينا أخيكَ؟!

وهل تتساوى يد.. سيفها كان لك

بيد سيف أثكلك؟

سيقولون: جئناك كي تحقن الدم..

جئناك كن - يا أميرُ - الحكم

سيقولون: ها نحن أبناء عم

قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك

أمل دنقل

الإستسلام هو تبني نظرية الخصم في الصراع، وهو التنازل طواعية والقبول بغرض وهدف الخصم من الصراع، وهو الإعتراف بالأمر الواقع دون مقاومة.

ومن أجل أن يكون ذلك مبرراً، لابد من استخدام ترسانة من الذرائع والمبررات، من أجل إعادة التشكيل الأيديولوجي لقضايا الخلاف والصراع، حتى يتسنى تهيئة العقل لقبول الواقع المستهدف والغرض الجديد.

والمتابع «لعملية السلام» سوف يتبين القاموس الذي يحاول العدو فرضه على الأمة العربية مثل: العولمة.. النزاع.. السلام.. ثقافة السلام.. السلام والتنمية.. التوظيف المتبادل.. المعرفة.. الآخر.. الشرق أوسطية.. الإرهاب.. التطبيع.. اليمين واليسار الإسرائيلي.. الخ. ولايكتفي العدو بالعمل على فرض ذلك القاموس، إنما يعمل على أن تواكبه خطة اختراق شاملة كافة المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية مثل: التعاون الإقتصادي - نزع السلاح - التعاون السياحي - تأسيس المؤسسات المشتركة - تنقية مناهج التعليم - توجيه الإعلام - الإتفاقات الأمنية - إدخال طرف ثالث في الإتفاقات وهكذا..

لكن العدو يعطي أهمية قصوى في هذه المرحلة لإختراق العقل العربي - وبالذات بعد أن تبين له من خلال تجربة التطبيع مع مصر وبعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً سلبية الحصاد - ومن أجل تحقيق غرض الإختراق فهناك تركيز وتكثيف موجه لجبهة المثقفين.

لذا لم يكن غريباً أن يبدأ السفير الإسرائيلي الأول عمله في القاهرة، بتسليم الكاتب الراحل توفيق الحكيم، الحقوق المادية العائدة إليه، من ترجمة كتبه وتسويقها في دولة الكيان الصهيوني، وكان ذلك بغرض تقديم الوجه الحضاري لإسرائيل، بعدما عايش الشعب العربي القتل والتدمير والطرد والإحتلال والإستيطان من جانبهم.

وقد كان ذلك واضحاً في مقال دانيال بلوخ في جريدة «دافار» في ١٩٧٧/١١/١٠ - عندما علق على زيارة السادات إلى إسرائيل قائلاً: «اما من ناحيتنا فإن السادات يعطي إسرائيل بزيارته أقصى حد ممكن، وهو ليس الإعتراف بحق وجود إسرائيل، بل بعدالة وجودها. لا بل اعترافاً بالأيديولوجية الصهيونية التي أدت إلى قيام دولة إسرائيل».

وقد اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية بالعمل على ربط الدول العربية بإسرائيل عبر شبكة من المشاريع الإقتصادية وعبر صناديق التمويل الدولية، وعبر الأبحاث المشتركة والتدريب المشترك وعقد سلسلة من الندوات الجامعة بين العرب والإسرائيليين في مجالات متعددة، وقد عبرت وثيقة رسمية عن وكالة التنمية الأمريكية - المشرفة على أموال المعونة الأمريكية في بلدان العالم الثالث - شارك في اعدادها ثماني وزارات وهيئات حكومية امريكية وعشر مؤسسات ومراكز خاصة للبحث العلمي.

وقد تناولت تلك الوثيقة أهمية المثقفين في تمهيد المنطقة للسلام، وامتلاكهم القدرة على تقديم أسانيد للمرحلة الجديدة من التعاون والسلام «يجب أن يلعب المفكرون ورجال الثقافة دوراً هاماً في العمل على تعميق الروابط والعلاقات بين الدول...».

وقد تعددت المداخل التي تم الترويج لها من قبل المؤسسات الرسمية الأمريكية والإسرائيلية وبعض المؤسسات من البلدان العربية، والتي راح ضحيتها بعض المثقفين العرب المرتبطين ببعض الأنظمة العربية أو الواقعين في حلقة التغريب، أو الواهمين في سلام دون سند من ميزان قوى، أو الواقعين في تثبيت لحظات الصراع المعاشة في تلك المرحلة دون النظر والإدراك لمفاعيل جديدة تحدث كل يوم، تجعل من الصراع في حالة حركة دائمة.

وقد بذل الإسرائيليون كل الجهود من أجل اختراق جبهة المثقفين، بداية من فرض انفسهم على بعض منتديات المثقفين، مروراً بالمحاولات الدؤوبة لإختراق المهرجان السنوي للسينما ومعرض الكتاب إلى محاولاتهم في إنتاج مشترك في السينما وتوجيه الدعوات لبعض الكتاب والأدباء لزيارتهم. وقد كشف الدكتور الراحل رشاد رشدي في ٢٣ يناير ١٩٨٠، وفي اجتماع شعبة الفنون التابعة للمجلس القومي للثقافة - التابع لرئاسة الجمهورية آنذاك - عن تلك المحاولات قائلاً في محضر رسمي: «إن الإسرائيليين رصدوا مبالغ ضخمة من المال لإنتاج مشترك بين مصر وإسرائيل عن رسالة السلام. وقد عرضوا ١٢ مليون جنيه مبدئياً لهذا الإنتاج، وإذا احتاج الأمر أكثر من ذلك، فلا مانع لأنهم يريدون توصيل رسالة السيد الرئيس «السادات» ومبادرته عن السلام إلى جميع أنحاء العالم. إن الممولين الإسرائيليين طلباتهم لاحصر لها، وعن التبادل الثقافي يريدون أن يتبادلوا معنا المعارض والمسرح.. إلى آخره، ولديهم كتاب سيناريو ممتازون، ولقد قال لي أحد المصورين الإسرائيليين أنه يريد تصوير مصر لأول مرة، وقال أنه عندما زار مصر وجدها غير ما تصور، وقال إنه رأى مظاهر الحضارة والتقدم، وانبهر، وطلب اعطاءه فرصة لكي يصور مصر بواقعها، ولا مانع أن تصور بجانبها إسرائيل ويعرض ذلك على العالم، الإسرائيليون سوف يقومون بهذا، وهم يرجوننا في ذلك، ولكن نحن نؤجل إلى حين تطبيع العلاقات. إن تطبيع العلاقات لايأتي إلا عن طريق الفن والثقافة».

وفي يونيو ١٩٨٠ كتب انيس منصور في مجلة أكتوبر يشتكي من بطء التطبيع «فلا تبادل بين أساتذة الجامعات ولا الأدباء ولا الأطباء. فمفكر مصري واحد هو د. حسين فوزي هو الذي سافر وحاضر في إسرائيل ومنحوه الدكتوراه الفخرية.. الخ».

كان ذلك هو الوضع بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد. لكن بعد توقيع الإتفاق الفلسطيني الإسرائيلي زاد الرتق واتسع، بعدما تم

الترويج والإعلان عن أن أصحاب القضية ـ أهل فلسطين ـ قبلوا بالسلام ولن نكون نحن ملكيين أكثر منهم، وكثفت آلة الدعاية الغربية والإسرائيلية الحديث عن السلام والرخاء وسلطة الحكم الفلسطيني وتضافرت معها آلة إعلام بعض الأنظمة العربية حتى تتمكن من إعطاء شرعية لتصرفاتها الوقوعية.

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام بعض الإصدارات من كتب ودراسات، جاءت تعبيراً عن ذلك التواصل بتعدد ذرائعه.

ولعل أخطر تلك الإصدارات كان إصدار الكاتب علي سالم «رحلة إلى إسرائيل»، فهو نموذج جلي لعملية غسيل المخ (إعادة التشكيل الأيديولوجي، وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة بواسطة الصحفي الأمريكي إدوارد هنتر) التي وقع فريسة لها، والتي يستهدف بكتابه هذا إيقاع آخرين فيها، حيث يقدم نفسه مناضلاً من أجل السلام والحرية الفردية وفيلسوف الأخوة الإنسانية. وهكذا ينطلق علي سالم من غرض عقائدي مغاير للسائد، حيث لا يقدم رحلته إلى إسرائيل كما قدم أقرانه من الذاهبين إلى هناك تحت مزاعم المعرفة (معرفة الجار أو معرفة العدو أو معرفة الآخر).

لكن الجميع (علي سالم ـ محمد مصطفى ـ أحمد فؤاد ـ عزت الأمير) قد استخدموا نفس المبررات والذرائع والمقارنات التي تدلل على الصورة الإيجابية للعدو، والتي تستهدف ترسيخ فكرة القبول بذلك المحتل وتقديمه في صورة إنسانية رحبة قابلة للتفاعل المبدع والخلاق.

ومن خلال قراءة نقدية لبعض تلك الإصدارات، يتكشف لنا هذا النسيج الصناعي من المفاهيم التي يتم ترويجها بغرض فعل اختراق عقل النخبة وعقل الجماعة الشعبية في نفس الوقت.

الغرض الزائف:

يتحدث علي سالم عن غرض الرحلة في كتابه «رحلة إلى إسرائيل» قائلاً في الصفحة الثامنة «في نهاية عام ١٩٩٣، وبعد إعلان اتفاقية أوسلو مباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين أعلنت أنني أفكر في زيارة إسرائيل بسيارتي لتأليف كتاب يجيب عن سؤالين: من هم هؤلاء القوم؟ وماذا يفعلون؟

ونشرت مقالاً في مجلة الشباب بعنوان: السلام الآن، كنت أرى أن الإتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين يشكل لحظة نادرة في التاريخ. إنها لحظة اعتراف الأنا بالآخر، أنا موجود، وأنت أيضاً موجود، الحياة من حقي وهي أيضاً من حقك..

وفي صفحة ٦٤ سُئل علي سالم من قبل صحافي: لماذا أنت هنا؟

فأجاب علي سالم: أنا هنا دعماً لإتفاقية أوسلو، ودعماً للسلام الفلسطيني الإسرائيلي ولأعرف الناس عن قرب.

ـ ولماذا بالسيارة؟

لإعادة تذكير الناس بأن بيننا وبينكم حدوداً مشتركة. وأننا قريبون منكم وأنتم قريبون منا، وأنه لابد من صنع السلام من أجل حرية الإنسان الفرد وحقوقه بما هو إنسان وليس بما هو يهودي أو مسلم أو مسيحي أو يدين بأي دين آخر.

وفي صفحة ١١٩ يقول علي سالم: «لا يوجد على وجه الأرض، ما هو أكثر قداسة من الحرية السياسية والإقتصادية وحقوق الإنسان الفرد، وكل ما يمنع ذلك، أو يعوقه أو يعطله، ليس أكثر من جريمة».

وفي صفحة ١٤٠ يكشف علي سالم عن رؤيته أكثر قائلاً «يا عبد الله (حسب تعريف علي سالم له هو: عبد الله ربيع الباحث الإجتماعي السابق وهو يهودي من أصل عراقي، يحمل الآن اسم أوفاديا رابي) لا داعي للحديث عن الحقوق التاريخية.. فها أنت ذا ترى.. كنا نحن المصريين هنا من آلاف السنين (في إشارة إلى ما شاهداه من فيلم تسجيلي في أحد المتاحف). فهذه مقولة لا توصل لشيء، يجب أن نقول! أنا هنا الآن، وأنت هنا الآن، وعلينا أن نبحث عن الطريقة التي نعيش بها معاً في سلام.. هنا والآن يا عبد الله.. هنا والآن.. أنا لا أصدق كل ما قاله التاريخ، وخاصة عندما يدعوني لذبحك.. أو يدفعك لقتلي..».

أما الغرض عند الصحفي أحمد فؤاد والمبين في كتاب «إسرائيل ذلك المجهول» فهو يعلن في صفحة ١٠٢٩: «لم يعد بالإمكان إنكار ما للواقع الإسرائيلي من وجود، فإسرائيل اصبحت دولة معترفاً بها، لها كيانها القائم بغض النظر عن سلوك هذا الكيان أو اختلاف الآراء حوله.. هذا الواقع يستلزم منا نمطاً مختلفاً في التفكير يأخذ في الحسبان كل ما يشتمله هذا الواقع من تاريخ وجغرافيا وسياسة واجتماع.. الخ، وحتى نفكر بشكل جديد ينبغي ان نعترف في البداية بأننا وقعنا طوال السنين الماضية في أسر مشاعر دفينة، وتخدرنا بالمكنونات العدائية، وأعمتنا هذه المشاعر وتلك العداءات عن حقيقة هامة كان ينبغي أن ندركها وهي دراسة هذا الواقع ومعرفة مكنوناته، القضية إذن قديمة ـ جديدة، القديم فيها معروف وثابت في وجداننا، وهي ان من يزور إسرائيل خائن وعدو وكافر أيضاً.. أما الجديد فإن زيارة إسرائيل والكتابة عنها ونقل ما بداخلها لا ينبغي أن يظل القائم بها مثلما كان قديماً خائناً وعدواً كافراً فالعبرة بالهدف والغاية، والهدف هنا أن نقدم خريطة معرفية شاملة للأبناء والأحفاد قبل الجيل الحالي، حتى يكونوا على بصيرة وعلم بهذا العدو ـ هذه الخريطة ومستلزمات وجودها لم تعد تجدي معها المتابعة عن بعد ومناهج الدراسة القديمة وقراءة أعمال المفكرين المترجمة.. ان القضية لم تعد تطبيعاً أو لا تطبيع، علاقات أو لا علاقات إنما ينبغي أن ننظر إليها من منظور معرفة أو لا معرفة، فكر أو لا فكر.. فنحن مطالبون بشدة وبقسوة أمام جيلنا.. أبنائنا واحفادنا بهذه المعرفة، فبماذا سنجيب على الأبناء إذا سألونا عن هذه الخرائط المعرفية».

أما محمد مصطفى في كتابه «هكذا رأيت إسرائيل» فيكشف عن غرضه في صفحتي ١٣-١٤ قائلاً: «وبينما نحن نتناول طعام العشاء ونتابع بشغف وإثارة ما نراه على شاشة التلفزيون.. أخذنا نرقب المصافحة التاريخية بين عرفات ورابين.. ورحنا نتمتم ببعض الكلمات المعبرة عن دهشتنا.. بينما جلس أحمد الجار الله يتابع دون أن تظهر على وجهه أية ردود فعل ـ وأدهشتني تعبيرات وجهه المستقرة فسألته مناوشاً: معقول هذا الذي نراه؟ فقال بهدوء لم لا؟.. ثم راح يترحم على السادات وعاد لبعض ما كتبه عن السلام بين مصر وإسرائيل وأردف قائلاً: لو سمعوا كلامه لكان حالهم قد تغير غير الحال.. وفجأة لمع في ذهني خاطر غريب.. فسألت أحمد الجار الله ما رأيك لو سافرت إلى إسرائيل؟! قال أنا أم أنت؟.. قلت أنا.. فجاء رده اسرع مما توقعت: توكل على الله».

«لابد أن الرئيس ياسر عرفات هو السبب؟ فعندما رأيته يصافح رابين.. أدركت إننا نعيش لحظة مختلفة.. لحظة تهب فيها رياح التغيير بكل قوة.. وتتكسر فيها الحواجز وتتحطم القيود.. وهكذا اتخذت قراري بالسفر إلى إسرائيل.. كان في الواقع اصعب قرار اتخذته في حياتي.. فبعد صراع طويل بين الإنسان داخلي وبين الصحفي.. انتصر الصحفي بكل فضوله وكل رغبته في أن يرى ويسمع ويفهم».

أما الصحفي عماد أديب فيقدم الغرض عبر مجموعة من الأحلام العامة والخاصة وذلك عبر كتابه «حوارات القدس» عندما ذكر في المقدمة «كنت أحلم بالقدس.. بالصلاة في المسجد الأقصى.. في مغامرة صحفية داخل مستوطنة إسرائيلية، في حوار مواجهة مع حاخام إسرائيلي ـ في محاولة لفهم أنصار السلام الإسرائيلي».

أما عزت الأمير فغرضه توطيد جسور المحبة والتعاون، وذلك عبر تقديم «شعراء وأدباء السلام في إسرائيل» وهو عنوان كتابه، ويكشف عن ذلك الغرض في مقدمة كتابه قائلاً «في الماضي رفعنا في مواجهة إسرائيل شعار «اعرف عدوك» ثم بعد ذلك بدأنا معها مسيرة

السلام على يد السادات.. وهذا يستدعي تغيير شعار «اعرف عدوك» إلى «اعرف جارك».. وطبيعي أن هذا التغيير لايتحقق بمجرد الضغط على زر فالأمر يحتاج إلى مجهود للتخلص من ميراث الرفض الذي تراكم على مر السنين.. وكل خطوة على هذا الطريق تزيد من دعم السلام.. وهذا الكتاب يمثل خطوة من هذه الخطوات في مجال الإبداع الإنساني حيث سيرى القارئ أن السلام بين الشعوب لايتحقق فقط بتوقيع المسؤولين على معاهدة سلام.. وإنما يتحقق اساساً بتوقيع الشعوب من خلال مبدعيهم.. وكما قال السادات: «إن الفن ينبع من القلب.. والشعوب لها قلب واحد وعقول متعددة ولذلك كان الفن أقدر على التقريب بين الناس بالحب والجمال والصدق.. ارجو أن يكون الفن دائماً رسول المحبة والسلام بين الناس».

وهكذا بعد أن استعرضنا الفقرات الكاشفة عن الغرض والهدف لدى كل كاتب أصدر كتاباً عن زيارته لإسرائيل، أو للتعبير عن إيمانه برسالة معرفة الجار عبر الشعراء والأدباء، نجد لزاماً علينا أن نتناول مناقشة تلك الأغراض، ومحاورة تلك الأهداف، حتى يتكشف للجميع مدى صوابيتها ومدى تماسكها.. وكما سبق أن ذكرنا في مقدمة تلك الدراسة هناك ثلة من الأغراض المعلنة والمروجة من قبل اصحابها في خطابهم مع الجمهور عبر الكتاب، يأتي على رأس تلك الأغراض والأهداف: السلام والعمل على مساندته من أجل عدم الوقوع في الحرب مرة أخرى ومن أجل التنمية والرخاء والتقدم ـ ذلك هو الخطاب المعلن من قبل المطبعين، الإعتراف بالآخر ومعرفة الآخر، حق المعرفة، الإعتراف بالوجود الواقعي لدولة إسرائيل ـ اليمين واليسار في إسرائيل ـ حرية الإنسان الفرد ـ العولمة والقرية الكونية وتأثير ذلك على الصراع العربي الإسرائيلي ـ التوظيف المتبادل.. الخ.

١ـ السلام ـ التنمية والرخاء: تعمل الولايات المتحدة والدولة العبرية ودوائر المطبعين على ترويج خطاب أيديولوجي كامل يستند في محوره على أن السلام جالب الرخاء والتنمية معه إلى منطقة الشرق الأوسط بعد أن دمرته الحروب وأنهك اقتصادياتها الصراع حول الحصول على السلاح وأدوات الدمار.

والسؤال المطروح علينا حتى نستطيع أن نساهم في التفكير المستقيم والواضح. هل المسألة هي حرب أم سلام؟ هل ذهبنا إلى الحرب مختارين؟ وهل ذهبنا إلى السلام مقتنعين؟

في الحقيقة ان جذر ما نعاني منه في الصراع العربي الصهيوني هو ما يطلق عليه بالمشكلة اليهودية وليست المشكلة الفلسطينية، حيث أن المشكلة الفلسطينية وكافة محاور ومظاهر الصراع بين العرب والكيان الصهيوني ناتج عن المشكلة اليهودية، تلك المشكلة التي تم تصديرها من قبل الغرب إلى منطقتنا للتخلص منها في بداية العصر الصناعي ـ هذا من جانب ـ أما الجانب الثاني هو إحداث قسمة هذا الوطن عبر زرع هذا الكيان وذلك عبر فصل مشرقه الأسيوي عن مغربه الأفريقي، أما الجانب الثالث هو الحفاظ على مصالح الغرب الإستعماري في مصادر الثروات الموجودة على أرض الوطن العربي وأخيراً العمل وباستمرار على وأد أي محاولات للتحرر والتنمية والوحدة من قبل شعوب هذا الوطن العربي.

إذن نحن لسنا أمام خيار بين الحرب والسلام، ولا بين الأحلام والواقعية، ولا بين عودة بعض من الأرض في مقابل بعض من السلام. المسألة اكبر من ذلك ومشتبكة على أكثر من محور.

نحن أمام خيار بين احتلال الأرض او تحريرها، وتنمية مستقلة أو تبعية، ووحدة أمة أو تجزئة التجزئة (الطوائف والملل والنحل).

ومن هنا فليس معنى الإنتقاد الموجه لمسار التسوية وما يطلق عليه السلام، إننا نبتغي الحرب والقتال، وإنما يعني عدم توفر الشروط المناسبة للتسوية أو السلام المبتغى، حيث اختلال ميزان القوى لصالح إسرائيل، وعدم توفر بيئة دولية مناسبة للأطراف العربية، ولا بيئة اقليمية ولا حتى بيئة محلية ـ حيث تعاني معظم الانظمة العربية من فقدان للشرعية. هذا بالإضافة إلى عدم وضوح سياق تلك التسوية الواقعة أو ذلك السلام المزعوم ـ هل هي تسوية دائمة أو سلام دائم يستند إلى قاعدة من العدل والرضا المتبادل وميزان قوى متبادل. متكافئ؟ أم غير ذلك؟

أما الجانب الآخر الذي يردده المطبعون في مسألة السلام والحرب ـ هو الحديث عن السلام كأنه حل سحري لكل مشاكلنا ـ بل والنظر إلى السلام كأنه ثابت مركزي في تاريخ البشرية والحروب كانت استثناء.

والحقيقة إن محاولة الفصل بين الحرب والسلام هي محاولة من قبيل الترويج لأيديولوجيا الهزيمة والإستسلام لمشروع العولمة والدمج الإقليمي والخصخصة، حيث من المعروف والشائع أن الحرب تنشب من أجل السلام، وان الحروب هي الفترات الأطول في تاريخ البشرية، فيكفي أن نذكر أن الحروب التي نشبت في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، فلن نجد مشقة في رصد: الحرب الكورية ١٩٥٢-١٩٥٣ وحرب فيتنام ١٩٥٧-١٩٧٣ والحروب العربية الإسرائيلية ١٩٨٢،١٩٧٣،٧٠،٦٧ وحرب الخليج الأولى والثانية وحرب أفغانستان والبوسنة والهرسك.. الخ. فهناك ما لايقل عن ١٥٠ حرباً وصداماً مدنياً دار في أنحاء العالم منذ قيام السلام عام ١٩٤٥، وهناك حوالي ٧٢٠٠٠٠٠ جندي قتلوا في تلك الأحداث وهذا هو رقم الموتى فقط ـ ولايشمل الجرحى والمعوقين ولايشمل المدنيين، ويعني ذلك أن هناك حرباً عالمية ثالثة قد تمت منذ ١٩٤٥ حتى الان وإن حجم الخسائر الناتجة عن تلك الحروب كان يعادل تقريباً ـ حجم الخسائر العالمية الثانية وإذا أضيف عدد القتلى المدنيين فإن العدد الإجمالي سوف يصل إلى ما يقرب من ٣٥ إلى ٤٠ مليون نسمة وإنه خلال ٢٣٤٠ أسبوعاً ما بين عامي ١٩٤٥ حتى ١٩٩٠، كانت هناك ثلاثة أسابيع فقط دون حرب ـ حسب قول هابدي والفين توفلر في كتاب «الحرب وضد الحرب» من ذلك يتبين لنا أننا قد لانرغب في الحرب ولكن الحرب هي التي ترغب فينا ـ حسب قول تورنسكي ـ فلا الحرب دون شروط ومقدمات وبيئة ولا السلام دون شروط ومقدمات وبيئة. وسوف تناضل الشعوب من أجل السلام وتحقيقه وسوف يحلم الأفراد بالسلام. لكن ماذا لو انفصل حلم الفرد عن حلم الأمة والشعب ـ كما عبر ذلك الكاتب علي سالم عندما ذكر في كتابه «رحلة إلى إسرائيل» (يا عبدالله، لاداعي للحديث عن الحقوق التاريخية، لاداعي لأن يقول أحدنا للآخر كنا هنا من آلاف السنين، فهذه مقولة لاتوصل لشيء، يجب أن نقول: أنا هنا الآن، وأنت هنا الآن، وعلينا أن نبحث عن الطريقة التي نعيش بها معاً في سلام..).

الحقوق التاريخية عند علي سالم لاتعني شيئاً، مهما كانت الجهود والتضحيات المبذولة في مساراتها من الأجيال الماضية، ويتصور ايضاً أن الواقع المعاش ملك للمقيمين عليه في الظرف الراهن، لكن الحقيقة غير ذلك فالأرض ملك للاجيال الماضية والراهنة واللاحقة ومن هنا فلا يحق لأحد أن يتنازل عن سنتيمتر منها وتاريخ فعل البشر على تلك الأرض ليس ملكاً لفرد مهما علت حريته الذاتية ولا ملكاً لجيل مهما كانت مكانته، ولا ملكاً لماضي رحل ولا لمستقبل آتٍ. إنه كل ذلك معاً.

لكن ماذا لو انفصل الفرد عن الجماعة وناضل من أجل أن يحقق السلام لنفسه ليحقق الحرية أيضاً لنفسه؟

من المؤكد انه سوف ينسلخ عن أمته وبلده ووطنه، بل وعائلته وأسرته فكيف يتوهم الفرد سلاماً غير مؤسس على عودة الحق لاصحابه ولا على الشروط الموضوعية الحاكمة للسلام والحاضنة له. وأنا هنا أطرح على كل الذين يتحدثون عن أهمية وضرورة السلام دون مراعاة للشروط الموضوعية من عدل قوى السؤال الآتي:

ماذا لو تنازلنا عن كل فلسطين لإسرائيل؟

هل سوف يتركنا العدو (الغرب الإستعماري والكيان الصهيوني) ندير مشروعنا التنموي التحرري الوحدوي - حلمنا في بناء المستقبل؟

هل من الممكن فصل التسوية عن العولمة والخصخصة والتطبيع؟

الإجابة واضحة بالطبع لا. لماذا؟

لأننا أمام مشروع متكامل من قبل الغرب الرأسمالي الإستعماري والكيان الصهيوني للهيمنة على أمتنا وعلى كل الجنوب. نحن أمام عولمة استعمارية تستهدف تنميط البشر بحضارة السوق والسلطة لذلك فهي تعمل على نفي الهوية وتمزيق الأمة وتشويه التنمية.

إذن مازال الصراع قائماً بين مشروعنا التحرري التنموي الوحدوي وبين المشروع الإستعماري الرأسمالي الإستيطاني الصهيوني العنصري.

أكاد أسمع أحدهم يقول غداً مرة أخرى لغة الخطاب الأيديولوجي، نحن في عصر تخلص من الايديولوجيا - هذا هو الوهم بعينه ليس الحديث عن السلام والتنمية والخصخصة والتطبيع والعولمة هو الآخر ايديولوجيا؟ إذن لماذا مسموح للعدو بترويج واعمال ايديولوجيا وغير مسموح لنا بذلك؟ كما هو مسموح للعدو بامتلاك السلاح النووي وغير مسموح لنا بذلك.

والسؤال الموجه للسيد علي سالم - انطلاقاً من مفهومه عن الحرية الفردية «أنا هنا، وانت هنا، إذن علينا أن نبحث عن طريقة للتعايش» - ماذا لو احتل آخر جزء من بيتك بالقوة؟

حسب رؤية سالم، سوف يقبل بذلك. وهنا نطرح تساؤلنا الآخر هل هناك ضمانات لعدم احتلال الباقي من بيتك طالما أنه مازال أقوى منك.

والسؤال الآخر لو قبل السيد علي سالم التنازل عن بعض بيته ولم يمتلك الضمانات الكافية لردع المحتل لو رغب في أخذ البيت كله - ماذا يفعل أبناؤه؟ فالبيت ليس ملكية للسيد سالم فقط. من المؤكد أن الأبناء سوف يحجرون عليه.

ومروج خطاب التطبيع الربط بين السلام والتنمية - وقد تحدثنا عن السلام فلا بد من الحديث عن علاقة السلام بالتنمية ومفهوم التنمية. والحقيقة انه ليس هناك ربط شرطي بين السلام والتنمية بدليل أن المانيا بين الحربين الأولى والثانية كانت محققة لأعلى نسب في التنمية، والإتحاد السوفياتي في عصر ستالين كان محققاً لنسبة عالية من التنمية ومصر في عصر عبد الناصر وفي ظل حروب عديدة (حرب ٥٦-٦٧-١٩٧٣ وحرب اليمن ودعم حركات التحرر في العالم الثالث) كانت محققة لأعلى نسب تنموية. بل إسرائيل نفسها وفي ظل الهاجس الدائم بالحرب تحقق أعلى نسب تنموية وهناك تجارب أخرى كثيرة تؤكد ذلك، لماذا إذن الربط الشرطي بين السلام والتنمية؟ بالطبع هو جزء من الربط الكلي بين عناصر مشروع الإستسلام والتبعية والهيمنة والتطبيع. إنه من شروط المشروع المهيمن والمنتصر وعن أي تنمية نتحدث عن تنمية الوطن ككل أم عن تنمية ثروات مجموعة من الأفراد - مهما زاد عددهم - عن تنمية مصحوبة بالعدل الإجتماعي ام عن تنمية مصحوبة بالظلم الإجتماعي، عن تنمية تحدث تطوراً في أصول البلد ام عن تنمية تبيع اصول البلد - بيع القطاع العام وخصخصته - عن تنمية زراعية وصناعية أم عن تنمية سياحية واستهلاكية. عن تنمية تعتمد على ثروات البلد وخبراته واشباع حاجاته أم عن تنمية تعتمد على القروض والمصادر الخارجية والربط مع الشركات المتعددة الجنسيات.

فيكفي أن نشير إلى بعض الإحصاءات والأرقام الدالة على نموذج التنمية السائد في مصر حتى نتبين مغزاه ومفهومه ولماذا هو مرتبط بالسلام؟

هناك ٨٪ من مجمل سكان مصر تحصل على ثلثي الدخل القومي، ٨٦٪ من جملة السكان تعيش على ربع الدخل القومي وداخل شريحة الـ ٨٪ هناك ٢٪ يحصلون على حوالي ٤٠٪ من مجمل الدخل القومي، أما غالبية السكان ٨٦٪ التي تعيش على ربع الدخل فعلينا ان نتصور دخل الأسرة ومستوى التعليم والرعاية الصحية والسكن المناسب ونسبة المواطن في مياه نظيفة وصحية واستهلاكه للكهرباء والمجاري والصرف الصحي والعلاج والنظافة والمأكل والملبس.. الخ تلك هي تنمية السلام التي يتحدثون عنها - تنمية تستهدف إغناء الغني وإفقار الفقير، تستهدف تركيز الثروة وتوسيع قاعدة الفقر والتخلف بعد أن كانت محاولات التنمية في عصر جمال عبد الناصر، قد زادت من الناتج القومي خلال الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٦ بمتوسط سنوي قدره ٦,٧٪ بل نجحت الدولة المصرية في تحقيق معدل نمو في الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ بلغ ٤٪ في المتوسط، وقد ارتفع معدل الاستثمار من ١٢,٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي إلى ١٧,٨٪ خلال (٥٩/٦٠-١٩٦٥/٦٤)، وارتفع مستوى الدخل الحقيقي للفرد بأكثر من ٣٪ سنوياً، بعد ركود في متوسط الدخل استمر أكثر من أربعين عاماً، وقد حظيت الصناعة والكهرباء بأكبر نصيب من الإستثمارات (نحو الثلث) فنما الناتج الصناعي بمعدل ٨,٥٪ سنوياً والكهرباء بمعدل ١٩٪، وزاد متوسط الأجر الحقيقي في الزراعة والصناعة بنسبة ٣٤٪-١٢٪ على التوالي في نفس الفترة من ١٩٥٨-١٩٦٥ - كما يقدر د. جلال أمين في كتابه «قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم». ويضيف إلى ذلك بأن نسبة الزيادة في المشتغلين قد فاقت الـ ٥٠٪ في تلك الفترة (٥٩-١٩٦٥). ورغم الصعوبات التي واجهت الإقتصاد المصري في أعقاب ١٩٦٧ من جراء الهزيمة في ٦٧ والإنخفاض الشديد في موارد مصر الذاتية من العملات الأجنبية، وفقد مصر لآبار البترول في سيناء وضرب معامل تكرير البترول في السويس وإغلاق قناة السويس وانخفاض دخل السياحة فضلاً عن الإنفاق الذي فرضه تهجير نحو مليون شخص من سكان مدن قناة السويس - إلا أن إجمالي ديون مصر المدنية (بما في ذلك الديون طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل) في ٣١ ديسمبر ١٩٧١، اي بعد نحو سنة من وفاة عبد الناصر، بما لايزيد على ١٣٠٠ مليون دولار - كما يقدر خالد إكرام في بحثه عن الإقتصاد المصري. أما عن الديون من ١٩٧٠-١٩٨١، فقد بلغ إجمالي مديونية مصر الخارجية، بمختلف أنواعها المدني والعسكري، العام والخاص وذات الأجل الطويل والمتوسط والقصير، زاد من نحو ٥ بلايين دولار في ١٩٧٠ إلى نحو ٣٠ بليوناً من الدولارات في ١٩٨١ وكان هذا المبلغ يمثل نحو ١٤١٪ من الناتج المحلي الإجمالي في ١٩٨١ بالمقارنة بنسبة ٤٣٪ عند بداية تولي السادات الحكم ومن منتصف ١٩٨١ حتى منتصف ١٩٨٦ زاد إجمالي الديون المدنية والعسكرية إلى ما يقرب من ٤٥ بليون دولار مع مراعاة أن هذا الرقم لايشمل تسهيلات الموردين التي قدرتها بعض المصادر بنحو ٨ بلايين دولار في منتصف ١٩٨٦ بعد ذلك نستطيع أن نتناول عوامل عديدة قد أدت إلى خفض تلك المديونية مثل حرب الخليج واسقاط جزء من الديون وتسوية الديون مع موسكو.. الخ لكن من المؤكد أن نموذج التنمية السائد، كان سبباً في وصول الديون إلى مرحلة الخطورة بالإضافة إلى عدم وجود تطور حقيقي على مستوى أنماط الإنتاج المختلفة في المجتمع، مع زيادة في عدد الفقراء والمهمشين على حساب زيادة الثروات البليونية عند بعض الأفراد أو زيادة مساحات الفساد والثراء الغير مشروع. وكان ذلك نموذجاً للتنمية السلامية التي تروج له الشركات المتعددة الجنسيات ومؤسسات التمويل الخاضعة للغرب الرأسمالي الإستعماري تحت ما يطلق عليه في خطاب التطبيع العولمة التي لامفر منها.

(*) باحث مصري في الفكر السياسي وقضايا الصراع العربي الاسرائيلي

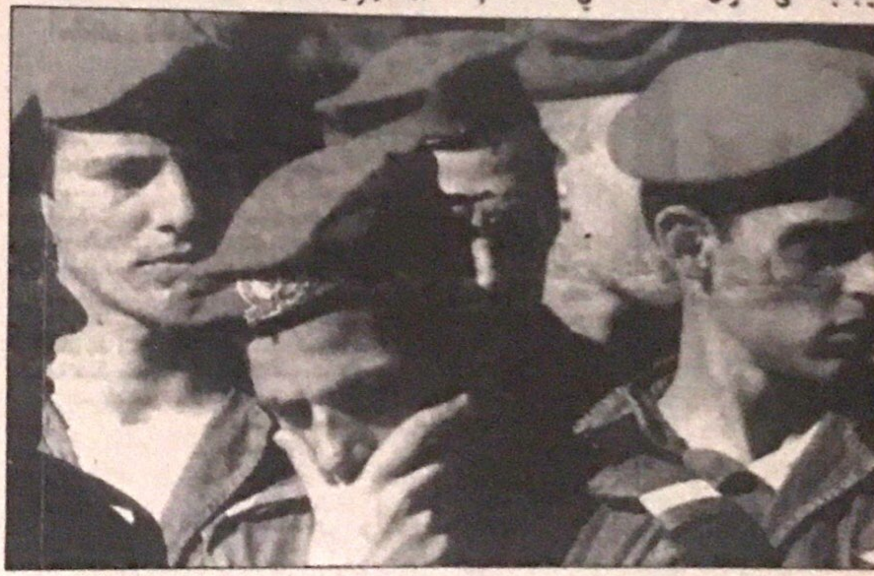
... يتبع

تداعيات الإنتخابات الإسرائيلية

شبح المقاومة الإسلامية اللبنانية يخيّم على الأجواء

ناصر أبو العلا

يمكن رصد مجموعة من التطورات السياسية والعسكرية التي جرت مؤخراً في المنطقة، سواء داخل اسرائيل أو خارجها، تشكل تداعياتها القريبة والبعيدة عوامل إضافية مؤثرة في تجاذبات الحملة الإنتخابية الإسرائيلية إضافة إلى العوامل الأخرى المعروفة التي جرى الحديث عنها من زوايا مختلفة وأشبعت قراءةً وتحليلاً، لذلك لن نستعرض في هذه المساحة الخارطة السياسية الإسرائيلية وأحزابها، وترتيب ترشيحات الأحزاب الإسرائيلية للكنيست القادمة وعوامل القوة والضعف للمتنافسين الأساسيين على منصب رئاسة الحكومة الإسرائيلية، وإنما سنحاول استعراض تلك التطورات التي ستفعل فعلها وتؤثر سلباً أو إيجاباً على القوى المتنافسة في الحملة الإنتخابية الإسرائيلية.



أول هذه التطورات: الوضع الساخن في جنوب لبنان والتصعيد العسكري الإسرائيلي الذي جوبه بالمقاومة الإسلامية اللبنانية المسلحة التي ألحقت ضربات موجعة بالجيش الإسرائيلي، اسفرت عن زيادة ما أصطلح على تسميته إسرائيلياً: بزيادة «عودة النعوش» التي وصلت إلى ذروتها بعودة نعش الجنرال القتيل (اريز غيرشتاين) أكبر قائد للجيش الإسرائيلي في لبنان، وعدد من الضباط الآخرين.

إن رد الفعل الإسرائيلي، الذي كان منتظراً على عمليات المقاومة اللبنانية التي مرّغت هيبة الجيش الإسرائيلي كان بدء حرب في «البر والبحر والجو» ضد لبنان انتقاماً من هذه العمليات لكن التهدئة المفاجئة التي تلت التصعيدات العسكرية الإسرائيلية الأولية طرح أكثر من علامة استفهام وسؤال، مما دفع المراقبين إلى اعتبار أن هذه التهدئة على علاقة مباشرة بالحسابات الإنتخابية الإسرائيلية أولاً.

لقد سارع أيهود باراك زعيم حزب العمل إلى استغلال هذه الحوادث بتوجيه الإتهام لنتنياهو بالقول: «إنه (نتنياهو) يقود حكومة تتلقى اللطمات في كل ساحة»، وأعلن باراك عن تعهده بإجراء انسحاب من لبنان خلال سنة كحد أقصى بعد انتخابه، وهذا ما دفع نتنياهو في المقابل إلى الرد مجدداً على باراك بإطلاق وعود مشابهة واعتبر «أن الإنسحاب من لبنان ممكن في غضون سنة»، ولكنه رفض الإرتباط بموعد محدد لتنفيذ هذا الإنسحاب الذي قد يكون برأيه في إطار ترتيبات مع سوريا «مقابل ثمن لايكون باهظاً، أو انسحاب من طرف واحد»، ومن ناحية أخرى ذكّر نتنياهو بمسؤولية خصمه ومنافسه على منصب رئاسة الحكومة أيهود باراك بتقبيد يد الجيش الإسرائيلي في لبنان من خلال التورط في عملية عناقيد الغضب في نيسان ١٩٩٦، وبالتالي الموافقة على تفاهم نيسان، عندما كان وزيراً للخارجية في حكومة شمعون بيريز. كذلك اتهم نتنياهو باراك برفضه اقتراحين لحل المسألة اللبنانية أولهما تشكيل حكومة وحدة وطنية لمعالجة هذه المسألة، وكذلك عدم قبوله باقتراح تشكيل مجموعة عمل من مختلف الأحزاب «لدراسة المسألة اللبنانية». إن نتنياهو بهذا الكلام أعاد الكرة إلى ملعب باراك، محاولاً أن يبرئ نفسه من الأثمان الباهظة التي يدفعها جيشه مقابل وجوده الحالي في جنوب لبنان، وهذا ما يدلل على حجم الحساسية التي وصلت لها المسألة.

إن لبنان الذي كان حتى وقت قريب ساحة (مفتوحة) للتنافس الإنتخابي الإسرائيلي الحربي، بات بعد تجارب السنوات الماضية المريرة بالنسبة للإسرائيليين منطقة محفوفة بالمخاطر، وهذا ما يدفع بالمسؤولين الإسرائيليين إلى توخي الحذر، وفي هذا الإطار يمكن لنا أن نفسّر تردّد نتنياهو وحكومته الحالية في توجيه ضربة موسعة للبنان، لأن نتائج مثل هذه الضربة لم تعد مضمونة، والثمن الذي دفعه شمعون بيريز بعد ضربه (قانا) عشية الإنتخابات الإسرائيلية الماضية مازالت ماثلة في الأذهان، حيث كلفته تلك الضربة (مع عوامل أخرى بطبيعة الحال) مستقبله السياسي.

الكلام السابق لايعني أن الضربة العسكرية الموسعة للبنان لم تعد واردة في ذهن نتنياهو، إذ يبقى هذا الإحتمال وارداً لكنه يحتاج منه إلى حسابات معقدة لتفادي وقوع خسائر فادحة في صفوف جيشه، وهذا ما يقلقه، ويقلق أوساط سياسية وعسكرية

واسعة في إسرائيل، لذلك فاتجاهات التفكير الإسرائيلي تأخذ الآن منحىً آخر، يتجه باتجاه التحلّل من شروط تفاهم نيسان، أو تعديل بنوده وهذا ما يفسّر التحركات الأخيرة على خلفية تفاهم أمريكي - اسرائيلي لجهة ضرورة تعديل شروط «تفاهم نيسان»، حيث تندرج جولة المبعوث الأمريكي «مارتن أنديك» في هذا السياق رغم التصريحات (الإنتخابية) الإسرائيلية التي تطلق هنا وهناك حول إعادة تحريك عملية السلام على المسارين اللبناني والسوري، واستعداد اسرائيل للمضي قدماً في هذا الخيار الذي اعتبرته سوريا «مجرد ألاعيب اسرائيلية مكشوفة» مؤكدة استحالة فصل المسارين اللبناني والسوري عن بعضهما.

التطور الآخر الذي حصل في الآونة الأخيرة والذي يصب من حيث النتائج والمغزى السياسي في التطور الأول هو تحرير «أرنون»، فهذه العملية أثبتت أن هناك وسائل مقاومة أخرى (جماهيرية)، وهي في جوهرها لاتتعارض مع عمل المقاومة الإسلامية المسلحة، بل تشكّل رديفاً داعماً لها. إن هذه العملية التي حظيت بالإجماع الوطني اللبناني العام أثبتت مرةً أخرى أن لبنان لن يكون ساحة انتخابية اسرائيلية سهلة لتقوية شروط الحكومة الإسرائيلية الحالية ورئيسها المعني، ووزير دفاعها الذي أراد ابتكار وسائل جديدة لإثبات قوة إسرائيل وقدرتها على السيطرة حينما وحيثما تشاء.

كذلك فإن صمود المقاومة المسلّحة والشعبية في لبنان، والدعم السياسي الذي تحظى به من قبل الحكومة اللبنانية، وعلى خلفية الصمود السوري الذي رسّخ ترابط المسارين السوري واللبناني أبطل مفاعيل المحاولات الإسرائيلية الدائمة لأن تجعل من لبنان ساحة تنافس انتخابي اسرائيلي بأبخس الأثمان.

التطور الآخر الذي يمكن أن نتلمّس أبعاده وتأثيراته مؤخراً على الوضع الإنتخابي الإسرائيلي هو داخلي - اسرائيلي هذه المرة، ونقصد به مسألة الخلافات والمواجهات بين المتدينين اليهود والعلمانيين، التي عبرت عن نفسها بتظاهرات حاشدة للمتدينين المتشددين الذين حشدوا حوالي ربع مليون مقابل تظاهرة للعلمانيين في نفس التوقيت حشدت حوالي خمسين ألفاً منهم.

صحيح أن هذه التظاهرة كانت للرد على بعض قرارات المحكمة الإسرائيلية العليا حول السماح لليهود من التيارين الإصلاحي والمحافظ بالإنضمام إلى المجالس الدينية، لكن الخلفية الأعمق لهذا التحرّك هو استعراض المتدينين لقوتهم الإنتخابية، وذلك بسبب استشعارهم خطر استبعادهم على ضوء بعض المؤشرات التي تدلّ (حسب المراقبين) أن أحزاب الليكود والعمل والوسط ستكون في المقدمة، إضافة إلى بعض الأحزاب الصغيرة الأخرى التي قد تصل إلى الكنيست وضمن الإحتمالات القوية الممكنة التوصّل إلى ائتلاف حكومي بأغلبية مريحة في الكنيست من دون الحاجة إلى أصوات الأحزاب الدينية التي كانت تشكّل في السابق بيضة القبان، وبسبب من ذلك كانت تبتز رئيس الحكومة وتحصل منه على مكاسب كبيرة مالية وسياسية.

إن الأبعاد التي تمثّلها خلافات المتدينين المتشددين مع العلمانيين تأخذ معاني خطيرة تطال بنية وتكوين الكيان الصهيوني وتظهر حجم التناقضات، والإنقسامات التي بدأت تطفو على السطح داخل هذا الكيان، وهذا ما يفسّر القلق الذي بدأ يساور بعض الأوساط السياسية الإسرائيلية التي ترى في هذه الظاهرة خروجاً عن قواعد اللعبة الديمقراطية داخل إسرائيل، لذلك راحت تدق جرس الإنذار معتبرةً هذه الظاهرة تهدّد الكيان الصهيوني برمته من الداخل.

مسألة المساومات حول إعلان، أو تأجيل الإعلان عن الدولة الفلسطينية في الرابع من ايار المقبل باتت ايضاً نقطة تجاذب انتخابي اسرائيلي، فأوروبا والولايات المتحدة تريان أن إعلان الفلسطينيين من جانب واحد الدولة الفلسطينية في الرابع من أيار سيعطي الفرصة لنتنياهو لاستغلال هذا الموعد في تعزيز حملته الإنتخابية، وبالتالي زيادة فرص نجاحه، وإذا كانت هذه المسألة تحمل قدراً من الصواب، فإن الفلسطينيين الذين أخذوا وعوداً من الإتحاد الأوروبي (بغض النظر عن تفاوت المواقف بين الدول الأوروبية) من هذه المسألة بالإعتراف بالدولة الفلسطينية يرون أن من مصلحتهم التمسّك بهذا التاريخ لإعلان حقهم التاريخي، خاصة وأن الإسرائيليين تهربوا من تنفيذ الإلتزامات التي وقعوا عليها وآخرها اتفاق واي بلانتيشين الذي أشرفت عليه الولايات المتحدة، حيث أن الدعوة إلى انتخابات مبكرة كان بحد ذاته شكلاً من أشكال الهروب من تنفيذ تلك الإستحقاقات وتجميد المسار الفلسطيني للتسوية.

ليس من الواضح بعد، هل سيقوم الفلسطينيون بالإعلان عن الدولة في الرابع من أيار أم سيؤجلون هذا الإعلان، لكن الواضح أن هناك مساومات تجري لتأجيل ذلك ويطمح عرفات على ما يبدو إلى قبض ثمن ذلك بانتزاع وعود أمريكية بالإعتراف بالدولة الفلسطينية، واللقاء المنتظر بين عرفات وكلينتون في الثالث والعشرين من الشهر الحالي ربما سيحسم المسألة، فعلى الأرجح سيتم تأجيل موعد الإعلان عن الدولة إلى ما بعد الإنتخابات الإسرائيلية لكن ما هو الثمن، فهذا ما ليس واضحاً بعد■■

د. جورج حبش يوجه رسالة ل د. عزمي بشارة

الأخ الدكتور/ عزمي بشارة المحترم

الأخوة الأعزاء أعضاء مؤتمر التجمع الوطني الديمقراطي المحترمين

تحية نضالية وبعد،

يطيب لي بمناسبة انعقاد مؤتمركم هذا أن أبعث إليكم، ومن خلالكم لأعضاء التجمع، ولجماهير شعبنا الفلسطيني في الجزء المحتل من وطننا عام ١٩٤٨، بخالص تحياتي وتحيات رفاقي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قيادة وكوادر، ومناضلين داخل فلسطين المحتلة، وفي ديار الغربة والشتات، والتشرد.

الأخوة الأعزاء،

لقد اسهم أعضاء تجمعكم الوطني الديمقراطي على حداثة تشكيله نسبياً بقسط هام من النضال الذي خاضته ولاتزال جماهير شعبنا الصامدة منذ نكبة عام ١٩٤٨ وحتى الآن ذوداً عن الأرض والثقافة والهوية، والإنتماء.

وهو نضال لم يذهب أدراج الرياح، وإنما أثمر صموداً في وجه المخططات الصهيونية والسياسات الرسمية الجائرة لحكومات العدو المتعاقبة.

أجل لقد أفلح ذلك النضال في صد مشروع الأسرلة من ناحية وفي الحفاظ على وحدة ابناء الشعب الفلسطيني فيما يسمى بمناطق ١٩٤٨.

الأخوة الأعزاء

انتم مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى للعمل ومع كل القوى الحية والمخلصة من فلسطينيي المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ لإقامة أوسع ائتلاف وطني ديمقراطي يحمي ما تحقق من إنجازات ويصون العمل الوطني والقومي الديمقراطي أمام الهجمة الإسرائيلية المتواصلة الرامية إلى تبديد الشخصية الوطنية لفلسطينيي ١٩٤٨.

وتأكيدنا على هذه المهمة لايعني أنها غائبة عن أذهانكم أو جدول أعمال مؤتمركم ونقاشاتكم فهي قطعاً موجودة وتحتل ما تستحقه من اهتمام من طرفكم.

الأخوة الأعزاء:

بهذه المناسبة نؤكد لكم مجدداً أن ثقتنا بكم وبشعبنا العزيز المعطاء كبيرة جداً، ونحن على ثقة أكيدة بقدرة جماهيرنا وقواها المنظمة وأنتم من ضمنها على إفشال مخططات العدو.

نتمنى لمؤتمركم هذا النجاح والتوفيق في أعماله

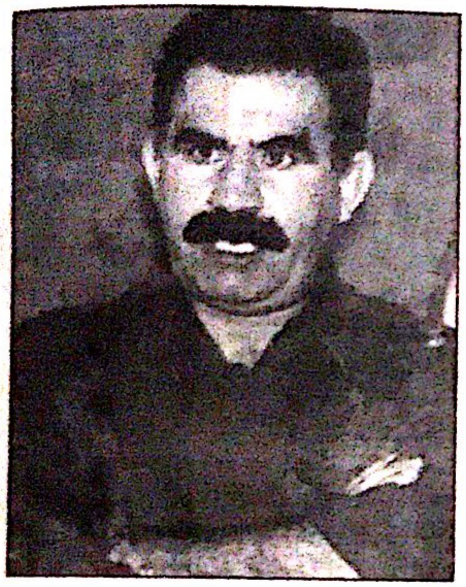
مع خالص تحياتي وتقديري

د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين

على هامش محاكمة الزعيم الكردي عبد الله أوجلان

من يحاكم من؟

خليل جنداوي



لم تهدأ بعد عمليات الاحتجاج الواسعة التي يقوم بها الأكراد والمتعاطفون معهم في مشارق الأرض ومغاربها، تضامناً مع الزعيم الكردي عبد الله أوجلان الذي أُختطف من كينيا إلى أنقرة في عملية قرصنة متعددة الجنسيات، كانت أشبه بسيناريو فيلم هوليودي اختلطت فيه كل عناصر التشويق المقزز بدءاً من الخيال العلمي الذي مثلته أحدث الأجهزة التكنولوجية المرتبطة بالأقمار الصناعية التي كانت تتعقب حركة أوجلان، مروراً بالجاسوسية حيث تكشف التفاصيل ازدحاماً غريباً في أجهزة الاستخبارات المتورطة في القضية، وصولاً للخيانة التي انبعثت رائحتها بقوة في العديد من اللحظات الحاسمة...

ورغم أن حدة الاحتجاجات الكردية الصاخبة قد خفت الآن كثيراً عما كانت عليه في الأيام الأولى لانتشار الخبر، إلا أن هذه الصورة الخادعة مرشحة بقوة للتبدل مع بدء محاكمة أوجلان التي حُدد موعدها في نهاية شهر آذار الحالي حيث من المؤكد أن هذا الحدث سيترافق مع اندلاع موجة جديدة من مظاهر الغضب الكردي الواسع الذي قد يكون هذه المرة أكثر عنفاً وضراوة، وخصوصاً أن الفرص تكاد تكون معدومة أمام أوجلان لمواجهة محاكمة عادلة ونزيهة ولو ضمن الحدود الدنيا.

النقطة التي وصلت إليها تفاعلات القضية الكردية في تركيا تفتح الباب واسعاً أمام مجموعة من الأسئلة التي تطرح نفسها بإلحاح: هل انتهت فعلاً المرحلة التي يمثلها عبد الله أوجلان باعتقاله الكئيب؟ أم أن الحركة الوطنية الكردية ستفرز أوجلاناً جديداً أو كما قال الأكراد في تظاهراتهم «ان الشعب الكردي سيولد ألف أوجلان»؟ وفي هذه الحالة هل ستستمر الحرب الدائرة هناك منذ العام ١٩٨٤ بنفس وتيرتها السابقة أم سنشهد تصعيداً في ضراوتها واكتسابها مظاهر عنف جديدة؟ نفس هذه الاحتمالات وغيرها أيضاً سترد في حال كانت الاجابة على السؤال الأول بنعم، ففي هذه الحالة ستبرز فوراً استفسارات تقول: إذن في أي اتجاه ستسير الحركة الوطنية الكردية في الفترة القادمة؟ هل سيعيد الأكراد تقييم المرحلة السابقة؟ هل ستنتصر هناك سياسة الحمائم أم توجهات الصقور؟... ماهي الخطوات التالية التي ستقدم عليها السلطات التركية إزاء الملف الكردي؟ وما انعكاسات ذلك على الداخل التركي.. وأيضاً على الدول المجاورة؟ ماذا سيحل بأوجلان؟... وغيرها وغيرها من التساؤلات التي تكاد تكون بلا نهاية..

من المؤكد اننا لن نستطيع في هذه العجالة الاجابة على غالبية هذه الأسئلة التي يظل معظمها مفتوحاً على المستقبل. وان كنا سنركز حديثنا على بعض ما تضمنته من نقاط. لكن قبل ذلك يجدر بنا التوقف أمام حقيقة نعتقد انها هامة للغاية، ستفيدنا في إلقاء شيء من الضوء على بعض الجوانب المظلمة من اللوحة. وننطلق هنا من واقع افتراضي يقول إن الحكومة التركية لو أرادت بتصميم مسبق أن تصل إلى تهييج الشارع الكردي سواء في تركيا نفسها أو المهاجر، وتثير فيه كل ما راكمه من ضغائن وأحقاد وتدفعه دفعاً نحو مزيد من القطيعة النهائية مع الأتراك، لما لجأت إلى إجراء آخر غير الذي فعلته بالضبط، أي تعقب عبد الله أوجلان من عاصمة لأخرى، ثم إلقاء القبض عليه واحضاره مقيداً، معصوب العينين إلى تركيا مع الامعان في اهانته، ثم تصوير خطوتها هذه كنصر حاسم على الحركة الوطنية الكردية ودعوة مناضليها للاستسلام... لكن هل أرادت حكومة أجاويد والطغمة العسكرية التركية التي تخط سياساتها مثل هذه النتيجة التي تعني المزيد من التوتر الاجتماعي داخل تركيا المهزوزة أصلاً، بالاضافة لتسويد سمعتها في الخارج؟ من المؤكد أن الاجابة هنا ستكون بالنفي إلا إذا افترضنا أن السلطات الحاكمة في تركيا متآمرة مع الأكراد، لتخلق لهم الموضوعية المناسبة جداً لتصعيد ثورتهم واعطائهم كل المبررات للمطالبة بالانفصال!! ومن الواضح أن هذا الافتراض غير واقعي أبداً... ومع ذلك أقدمت هذه الطغمة على مثل هذه الخطوة التي تستحق بحق أن توصف بالحمقاء، لأنها قبل كل شيء أكسبت أوجلان صفة الرمز لكل الشعب الكردي بعد أن كان في أحسن الحالات قائد حركة ثورية تعاني من صعوبات هائلة لأسباب عديدة منها ما هو محلي ومنها ما هو اقليمي ودولي. وهكذا فإن أوجلان الرمز أسيراً في السجون التركية، أو شهيداً في حال حكمت عليه محكمة أمن الدولة بالاعدام سيكون أشد خطراً بكثير من أوجلان التائه بين العواصم بحثاً عن ملجأ لا يجده... ولو كانت القيادة التركية تتمتع ولو بقليل من الحنكة السياسية، لاستمرت في دفع أوجلان بعيداً عن ساحة الصراع لتوصله إلى دولة صغيرة في مجاهل افريقيا أو أمريكا اللاتينية، تقبل بمنحه اللجوء مع التضييق على حركته السياسية واتصالاته بأنصاره.

لكن العسكرتاريا التركية تؤمن إيماناً مطلقاً أن القوة وحدها تقدم دائماً الحلول الناجعة، ولأن هذا الأسلوب أظهر نجاحاً باهراً في الداخل التركي، ترى العسكر لا يخفون احتقارهم للسياسة والساسة. فبعد ثلاثة انقلابات عسكرية، والأسلوب الذي أثبت نجاحه عبر الانذارات التي يوجهها الجيش فيرضخ السياسيون، أصبحت السياسة بمعناها التقليدي في تركيا، تعني لعبة سخيفة

تمارسها نخبة قبلت أن تكون دمى يحركها أصحاب البزات العسكرية كيفما شاؤوا، أما السياسة الحقيقية بما تعنيه من قرارات مصيرية فهي حكر على الجنرالات فقط... غطرسة القوة هذه أوصلت القيادات العسكرية التركية لقناعة تقول إن القبض على أوجلان بعد خطفه بعملية قرصنة، تعني إيداع الحركة الوطنية الكردية في زنزانة، وإغلاق عينيه وإذلاله ستدفع العالم لاغماض عينيه عما يجري في كردستان، وبممارسة بعض الضغط الجسدي والنفسي على القائد الكردي، فإنه سيرضخ وينفذ كل ما سيأمره به جلادوه، وياحبذا لو نجح هؤلاء في إجباره على دعوة انصاره للاستسلام... أما هؤلاء «المتمردون» في الجبال فإنهم بعد أن يروا إلى أين تصل حدود القوة التركية، فإنهم سيخرون على أقدامهم خلال أيام طلباً للرحمة.. وليسدل الستار على النهاية السعيدة بالنسبة لتركيا حيث يحتفل الأتراك بالنصر ويهللون لجنرالاتهم ويغمرون رؤوسهم بأكاليل الغار..

من المؤكد أن الطغمة العسكرية كانت مقتنعة تماماً أن هذا ما ستؤول إليه الأمور. وهذا ما يفسر أن وسائل الإعلام التركية بثت بعد أيام من اعتقال أوجلان خبراً يقول أن الزعيم الكردي سيوجه رسالة متلفزة لأنصاره يحثهم على الإستسلام.. لكن ببساطة فإن هذا النداء لم يصدر أبداً، وهذا يعني أن أساليب التعذيب التركية لم تفلح في كسر صمود أوجلان، وإن «اعترافاته» التي تسرب الأوساط التركية كل فترة بعضاً منها، ما هي إلا أكاذيب وخصوصاً إن التحقيق معه يجري بدون شهود، ولا حتى من قبل محاميه رغم أن هذه النقطة هي من أبسط القواعد التي تتطلبها نزاهة القضاء.. وبدلاً من انطفاء جذوة الحركة الوطنية الكردية تشهد مناطق كردستان تركيا الآن تصعيداً في أعمال المقاومة المسلّحة، ويبدو إنها ستزداد ضراوة وربما انتقل العنف في مرحلة لاحقة إلى المدن التركية نفسها لتجد الطغمة الحاكمة نفسها أمام «حرب مدن» دموية عنوانها الأبرز هو السيارات المفخخة، بدلاً من حرب العصابات التي اقتصرت في خطها العام على المناطق الجبلية..

لاشك أن الوضع الذي يعيشه الأكراد في تركيا لايطاق بكل المقاييس أو المعايير، صحيح أن الدولة التركية تقول أن كل مواطنيها متساوون أمام القانون، وأن العديد من الأكراد وصل فعلاً إلى مناصب سياسية رفيعة في هرم السلطة التركية، لكن من المؤكد أن الأكراد مطلوب منهم خنق جذورهم وإلغاء شخصيتهم الوطنية حتى يتمتعوا بحق المواطنة هذا، فقبل كل شيء لايعترف الأتراك بشيء اسمه كردستان أو أكراد، بل يطلقون عليهم اسم «أتراك الجبل» وانسجاماً مع سياسة الإلغاء هذه، جرى حظر استخدام اللغة الكردية في كل وسائل الإعلام سواء المرئية أو المسموعة أو المكتوبة، لدرجة أن اقتناء نشرة باللغة الكردية يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون.. كذلك لا توجد في كل تركيا ولا مدرسة واحدة تعلم اللغة الكردية لأبنائها.. ويتضح حجم هذا الظلم حين نعلم أن عدد الأكراد الأتراك يبلغ حوالي ١٥ مليون نسمة أي نسبة ٢٠٪ من اجمالي السكان، وهذه الأرقام مستقاة من مصادر محايدة... ويروي بعض الأكراد أن سياسة شطب الشخصية الكردية التي تتبعها الحكومات التركية وصلت إلى درجة سوريالية غير معقولة حيث جرى تغيير ألوان اشارات المرور المستخدمة في كردستان تركيا (الأحمر، الأصفر، الأخضر) لأنها ألوان العلم الكردي، فبدلاً من الأخضر يستخدمون الأزرق!!

ومع اندلاع الثورة المسلحة التي قادها أوجلان، اتبعت السلطات التركية في مواجهتها أساليب موغلة في وحشيتها وقسوتها عبر استخدام سياسة الأرض المحروقة، حيث حرقت ودمرت أكثر من ٣٠٠٠ قرية وحوالي ٣٠ مدينة كردية ورحّلت سكانها «حوالي ٢ مليون شخص» إلى المدن التركية لحرمان الثورة الكردية من الإتصال بجماهيرها والإستفادة من دعمهم سواء المادي أو البشري.. وفيما تتهم الحكومة التركية أوجلان بالتسبب بمقتل أكثر من ٣١ ألف من الأتراك والأكراد سقطوا في المواجهات منذ اندلاع الثورة، لاحظ العديد من الصحفيين الأتراك أن غالبية الأكراد (أو عدد كبير منهم) الذين قتلوا في الحرب ويفترض إنهم ضحايا «الأكراد الحمر» إنما قتلوا بأسلحة الجيش. وفي هذا السياق نشير للصحفي التركي المشهور يشار كمال الذي كتب عن «حملة الأكاذيب»، حيث يفضح «اقذر حرب يمكن تخيلها تجري حالياً في تركيا»، ويقول كمال في أحد مقالاته: «إن الجمهورية التركية منذ يوم تأسيسها في ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣ طورت نظاماً من الإكراه والقسوة لايمكن تحمله.. لقد وصلت الحكومة التركية حالياً إلى مستوى من الطغيان أسوأ آلاف المرات من الإستبداد العثماني»..

هذا الوضع يؤكد أن المسألة الكردية في تركيا هي قبل كل شيء مشكلة سياسية، وبالتالي فإن حلها، يتطلب حلولاً سياسية أساساً.. وكان أوجلان قد اعترف بهذا الواقع حين تراجع عن فكرة الإستقلال وتبني شعار الحكم الذاتي الذي يصون الهوية واللغة والثقافة الكردية، وفي الوقت نفسه يحفظ وحدة أراضي تركيا، وهذا هو جوهر مبادرة أوجلان الذي أعاد إطلاقها أثناء وجوده في إيطاليا قبل اسابيع من اعتقاله في كينيا.. بالمقابل نجد أن العسكرتاريا التركية ظلت على طول الخط مغمضة عينيها عما وصلت إليه الأمور في البلاد، متشبثة برأيها القائل انه لاتوجد مشكلة كردية في تركيا، بل هي مسألة أمنية عنوانها بضعة «عصاة» و«متمردون» يمكن القضاء عليهم بسهولة فتغلق القضية اوتوماتيكياً.. ونشير في هذا السياق إلى أن الرئيس التركي السابق تورغوت أوزال ادرك عدم جدوى السياسة الإستئصالية التي دأبت تركيا على اتباعها بحق أكرادها، فتفاوض سراً مع أوجلان عبر جلال الطالباني، فأعلنت حالة هدنة كادت فعلاً أن تتطور إلى حل سياسي شامل لولا وفاة أوزال المفاجئة، ويهمس هنا بعض الأتراك والأكراد بأن أوزال ما مات إلا مسموماً..

في كل الأحوال يجب أن نلاحظ أن اعتقال أوجلان بما مثله من ضربة قاسية للحركة الوطنية الكردية، قدم فرصة على طبق من ذهب للطغمة العسكرية الحاكمة في تركيا لإيجاد حل سياسي ينهي المسألة الكردية أو على الأقل يخفف من وطأتها. فهذا «الإنتصار» بشكل أو بآخر أطلق يد السلطات التركية، فبات بوسعها التصرف بحرية، تمكنها لو أرادت منح الأكراد بعض حقوقهم المشروعة، دون أن يجرؤ أحد على نعتها بالهزيمة أو اتهامها بالخضوع لـ «الإبتزاز الأحمر»، وخصوصاً بعد أن اختلت موازين القوى بحدة لمصلحة أنقرة.. ويمكن القول أن مثل هذا الحل لو قُدر له أن يرى النور في هذه الظروف لكان حفظ ماء وجه جميع أطراف القضية.

لكن على ضوء الإشارات الكثيرة التي تصل من تركيا يبدو من الواضح أن الطغمة الحاكمة هناك ليست بوارد مثل هذه الحسابات التي تعني إدخال قدر من العقلانية والإنسانية على السياسات التركية، وهذا ما يبدو مستبعداً على المدى المنظور. ففي نشوة احتفالاتها بـ «نصرها» على أوجلان، تبدو أنقرة الآن أكثر حماساً من أي وقت مضى لتمريغ وجه الأكراد بوحل الهزيمة، وهذا ما يدفعها إلى تصعيد الأوضاع في جنوب شرق الأناضول حتى تحقيق «نصر نهائي» على «الإرهاب» وهذا يعني دفع الأكراد للإستسلام وعدم القبول بأقل من ذلك، الأمر الذي يعني فعلياً المزيد من الحرب والدمار والدماء في هذه المنطقة البائسة، والمعاناة لكل من الأكراد والأتراك.. وهذا ما يجعلنا نقول أن الحركة الوطنية الكردية ورغم دخولها في منعطف جديد بعد اعتقال زعيمها، إلا أن بداية الطريق الحالي تنبئ انه لن يختلف كثيراً عن درب الآلام الذي أجبروا على السير فيه منذ بداية القرن، بل ربما يفوقه قسوة وصعوبة.. وهكذا فإن الخيارات المتبقية أمام الأكراد محدودة للغاية، فليس أمامهم سوى الإستمرار في كفاحهم.. وبدلاً من حرق أجسادهم حزناً واحتجاجاً على معاناة رمزهم الأسير، ربما سيلجأون لتفخيخ أجسادهم بالقنابل ليحرقوا جلاديهم، وخصوصاً أن لوحة أعدائهم وأصدقائهم لم تكن بمثل هذا الوضوح التي هي عليه اليوم..■■

استمرار مأساة كوسوفو

درس جديد في النفاق الدولي

حسن العاصي

مع صدور هذا العدد، يكون قد اقترب موعد الجولة الثانية من المفاوضات بين الوفد الصربي وممثلين عن إقليم كوسوفو في فرنسا، لوضع اللمسات الأخيرة على اتفاق السلام واقراره بعد أن انتهت الجولة الأولى بنصف نجاح، بعد ضغوط شديدة مارستها مجموعة الإتصال الدولية على الطرفين لتجنب الفشل، والخروج باتفاق ما، ولو جزئي، بعدما اصطدمت المفاوضات الصعبة بتعنت الوفدين، إذ رفض الصرب الشق العسكري في الإتفاق الذي ينص على الإنتشار العسكري الدولي في كوسوفو وهو ما تعتبره المجموعة امراً لابد من حصوله، في حين رفض الألبان التوقيع على اتفاق لايضمن بحث مستقبل الإقليم ويؤدي إلى الإستقلال.

وفيما يبدو أنه يعكس نجاح واشنطن في ترويض المفاوضين الألبان، فقد استقال الزعيم السياسي لجيش تحرير كوسوفو «آدم ديماسي» الذي تعتبره الولايات المتحدة عقبة رئيسية أمام التسوية، ليجنب بذلك المعسكر الألباني انقسامات خطيرة بدأت تظهر، وتضعف موقفهم السياسي. لكن بلغراد ظلت على موقفها الذي أكده الرئيس الصربي «إننا لن نوقع على اتفاق رامبوييه، وأنه مازال هناك طريق طويل قبل أن توقع بلغراد اتفاقاً كهذا». وفشلت كافة المساعي والضغوط الغربية الخجولة لثنيه عن موقفه.

إن الحق التاريخي بكيان سياسي مستقل هو الذي يدفع بسكان كوسوفو إلى التمسك بمطلب الإستقلال، يضاف إلى هذا شعورهم بخطر التذويب الديني والثقافي والقومي، بينما يجدون أقرانهم من شعوب الإتحاد اليوغسلافي السابق قد انفصلوا في جمهوريات مستقلة. وفي ذاكرة الكوسوفيين ما يدعوهم إلى التساؤل عن الأسباب التي جعلت منطقة الجبل الأسود التي لايتعدى سكانها ٦٠٠ ألف نسمة تتحول إلى جمهورية مستقلة، فيما اقليمهم الذي يتعدى سكانه مليوني نسمة محروم من هويته وحقه في الإستقلال ضمن الإتحاد.

وتبدو الإندفاعة الصربية نحو تطويع سكان الإقليم ومنع الإنفصال، أمراً محكوماً بعوامل اقتصادية وجيوسياسية. فكوسوفو التي سميت بـ«لؤلؤة» البلقان لغناها بالثروات الطبيعية، تنتج ٧٥ في المئة من انتاج يوغوسلافيا من الزنك والنحاس و٦٠ في المئة من الفضة، و٢٠ في المئة من الذهب، و٥٠ في المئة من النيكل و٧١ في المئة من الفحم، و٦١ في المئة من المنغنيز. والمفارقة المذهلة أن كوسوفو هي الأفقر في أوروبا، ومتوسط الدخل الفردي فيها أقل بمرتين من مثيله في البوسنة ومقدونيا والجبل الأسود، وبثلاث مرات عن صربيا، وخمس مرات عن كرواتيا، وثماني مرات عن سلوفينيا. ولايعمل فيها سوى عشرة في المئة من سكانها على رغم أن ٥٢ في المئة منهم دون التاسعة عشرة من العمر، ومتوسط الأعمار في الإقليم ٢٤ سنة، وبالتالي هو بهذا المعنى الأكثر فتوة في أوروبا.

هذا التفاوت الهائل في الفوارق الإجتماعية بين سكان أقاليم الإتحاد اليوغوسلافي السابق، وتباين السياسات الصربية حيال شعوبه، والظلم الفادح في توزيع الثروات الإجتماعية، وعدم توفر الحد الأدنى من العدالة، يبين أن اقليم كوسوفو ليس اكثر من مصدر للإستثمار الإقتصادي الديمغرافي للدولة المركزية، وهو الأمر الذي شكل أرضاً خصبة ليندفع سكان كوسوفو إلى المطالبة بالإستقلال لاستغلال خيرات إقليمهم ولرفع الضيم عنهم خاصة بعد استلام الزعيم الصربي «سلوبودان ميلوسيفيتش» لمقاليد السلطة، حيث سعى إلى نزع صفة الحكم الذاتي عن الإقليم في عام ١٩٨٩ ملغياً بذلك المكسب الذي يتمتع به الكوسوفيون منذ عام ١٩٤٧.

لقد قال «ونستون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا السابق في إحدى المناسبات أن من خصائص منطقة البلقان أنها تنتج من التاريخ اكثر ما تستهلك، وكان الرجل محقاً. وآخر ما انتجته هي الحرب في كوسوفو بصورة طبق الأصل عن حرب التطهير العرقي التي تعرض لها الصرب أنفسهم على أيدي الكروات خلال الحرب العالمية الثانية. ويبدو أن قدر يوغوسلافيا هو أن حدودها السياسية ضمت مجموعات من الشعوب التي لها تاريخ حافل بالتقاتل وليس التعايش، فقد اسفرت حرب البوسنة التي استمرت خمس سنوات عن مقتل اكثر من مئة ألف شخص، وتشريد ثلاثة ملايين آخرين. من هنا يبدو أن رسم الحدود الجغرافية في البلقان لابد وأن يسفر عن مزيد من سفك الدماء، وعن مزيد من المهجرين على النحو الذي كشفته مأساة الألبان في كوسوفو التي بدأت منذ حوالي العام، عندما تفجر القتال ما بين قوات الأمن الصربية، وثوار جيش تحرير كوسوفو، وشهدت المنطقة منذ ذلك التاريخ مقتل الآلاف من المدنيين الألبان، وتدمير مئات القرى، وتهجير عشرات الآلاف على يد القوات الصربية، وبالرغم من توقيع الطرفين على اتفاق وقف إطلاق النار المبرم في تشرين الماضي الجائر أصلاً، فإن القوات الصربية قد خرقته منذ اليوم الأول وعادت وحداتها الخاصة إلى كوسوفو بأعداد كبيرة، بالرغم من وجود ٨٠٠ عنصر من قوات منظمة الأمن والتعاون الأوروبي غير المسلحين لمراقبة الإلتزام بالإتفاق الذي شهد انهيارات متتالية.

وما كان ملفتاً بشكل صارخ في كل النشاط الديبلوماسي المحيط بأزمة كوسوفو طوال الشهور الماضية، هو الإخفاق الواضح من جانب الولايات المتحدة وأوروبا في وضع سياسة منسجمة طويلة المدى لحل مشكلة الإقليم والمنطقة ككل، وبدلاً من ذلك اختاروا إدارة الأزمات أسبوعاً بعد آخر. والآن تحاول الولايات المتحدة استعادة زمام المبادرة حين مارست ضغوطاً من خلال وزيرة خارجيتها على وفد ألبان كوسوفو للتراجع عن مطالبتهم بالإستقلال، والإتجاه نحو القبول بالإتفاق الذي وضعته الأسرة الدولية، بينما تكتفي فقط بالتلويح بالتهديد في توجيه ضربات عسكرية ضد مواقع صربية إذا لم يمتثل «ميلوسيفيتش» لإرادة المجتمع الدولي. والحقيقة أنه لو كانت الإدارة الأمريكية جادة فعلاً في إنهاء حرب التطهير العرقي التي يقودها الزعيم الصربي، لما ظلت تناشده إحترام اتفاق وقف إطلاق النار في الوقت الذي مازال فيه يظهر سخريته من مقترحات المبعوث الأمريكي «كريستوفر هيل».

إن سياسة الإدارة الأمريكية بشأن كوسوفو مليئة بالأوهام والخداع والكذب، أهمها هو اعتقاد هذه الإدارة انه يمكن التوصل إلى حل يقبل بموجبه سكان كوسوفو الخضوع المستمر لإرادة «ميلوسيفيتش». وقد بدا واضحاً أن الطريقة التي عالج بها الغرب قضية الإقليم، ولدت شعوراً بالإحباط عند سكان كوسوفو، ويرى الكثيرون منهم أن تردد الأطلسي في استخدام الخيار العسكري، سيمنح زعماء الصرب جرعة إضافية من القوة ستمكنهم من استئناف سياسة الإخضاع وطريق العنف. وهم يدركون أن الثقة المفقودة والمعمدة بالدم مع الصرب لاتعيدها هدنة أمنية، أو اتفاقاً هزيلاً يحمل في طياته قابلية للإشتعال في كل لحظة. وإذا كانت المجموعة الدولية لاتريد سقوط ضحايا ونزوح أعداد كبيرة من اللاجئين، والحيلولة دون تفجر القتال الواسع النطاق فعليها أن تفرض تسوية سياسية عادلة، وأن تظهر رغبة حقيقية في الضغط على الصرب لمنح كوسوفو حكماً ذاتياً كاملاً تحت إشراف دولي مع إجراء استفتاء ديمقراطي حول مستقبل الإقليم، حتى لاتتكرر الأخطاء نفسها التي ارتكبت أثناء حرب البوسنة، فاستمرار مأساة كوسوفو دليل آخر على عقم السياسة الدولية وازدواجيتها في التعامل مع كرامة الإنسان، وهي شهادة يومية على وجود الإضطهاد العرقي والديني والقومي، فأي معنى للمواثيق الدولية في ظل هذه المأساة الإنسانية داخل يوغوسلافيا ■■



الشاعر فواز عيد
بين المنفى المؤقت.. والأخير!

بعض الشعراء أخذ أكثر مما يستحق من الأضواء والدراسة والإهتمام، وبعضهم عاش، وعانى، وأبدع، ورحل، دون أن يأخذ حقه بشكل يوازي (على الأقل) جهوده في إبداع نصه، هذا ناهيك عن دوره في إغناء حركة الشعر العربي المعاصر.. والراحل «فواز عبد» من هؤلاء الذين لم تسلط عليهم الأضواء في حياتهم بشكل يتناسب مع عطائهم الإبداعي والشعري، فهو واحد من جيل الستينات الذين اثروا القصيدة الحديثة، وأسهموا في تثبيت أسس وقواعد هذه الحركة، لكنه وبعد اندفاعاته الأولى مع ديوانه الأول «أعناق الجياد النافرة» بيروت ـ ١٩٦٣، الصادر عن دار الآداب، والذي بشر بولادة شاعر سيكون له حضوره المشع بين مجايليه من الشعراء الفلسطينين والعرب.. ثم مع تثبيت هذا الحضور مع ديوانه الثاني «في شمسي دوار» دار الآداب ـ بيروت (١٩٦٩) مرت مرحلة زمنية طويلة، امتدت أكثر من عشر سنوات غاب خلالها هذا الشاعر لأسباب غير مفهومة، بعد ذلك، صدر ديوانه الثالث «من فوق أنحل من أنين»، عن دار الحوار باللاذقية في العام (١٩٨٢) ولخيراً صدر ديوانه الرابع «باب البساتين والنوم» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق ـ العام (١٩٨٩)، ليغيب بعدها أيضاً فترةً قبل أن يغيّبه رحيله الأبدي.

لعل تلك الإنقطاعات كانت بسبب هواجس الشاعر وقلقه تجاه الوجود والوطن والحياة والمنفى.. مما كان يدفعه أحياناً إلى الشعور بالعبث، واللاجدوى من الكتابة في حياة طاحنة تتجاذبها الصراعات التي تكسر الأحلام، وتطحن الأرواح.

إن ظاهرة نوسان الشاعر بين الكتابة والإنقطاع، تستحق أيضاً من النقاد الدراسة والتحليل، لأنها تلقي الأضواء على تجربة هذا الشاعر وخلفياتها، كيما يحتل المساحة اللائقة به في حركة الشعر الفلسطيني والعربي المعاصر.

وإذا كانت حركة النقد العربي، قد غَبَنَتْ البعض في حياتهم، فلا أقل من أن تنصفهم بعد رحيلهم. لابمعنى: «اذكروا محاسن موتاكم»، بل بمعنى: انصفوا مبدعيكم في حياتهم ومماتهم.

لابدّ من الإشارة أيضا إلى مساهمات الشاعر في الكتابة الصحفية (التي كان لهذا المنبر نصيبه فيها)، وكذلك تجربته في كتابة الدراما التلفزيونية وفي كل كتاباته كان الوطن هو الجرح النازف عند فواز عيد، وكان المخيم منفاه، وبين حنينه للوطن وآلام الجرح والفقر في المخيم نهض مشروعه الشعري والكتابي، الذي صاغه جمالاً وألقاً وصوراً وكلمات تفيض عذوبة وغنائية وشفافية.

فأي زمن هذا الذي عاشه فواز عيد وجيله؟! وأي حلمٍ هذا الذي تكسّر مع الهزائم والأوهام والإنسحاقات اليومية التي عاشتها الذات خمسين عاماً من النكبة:

خمسون عاماً من دم
ووجوه من أحببت ليل
بين بلور ونار
سفر.. وأمتعة من الأحزان
موتى والقلوب على رصيف الليل..
قاعات انتظار
موتى.. وأحباب،
وليل في قطار.

الهدف الثقافي

تقديم متأخر لكنه ضروري

عبد الرحمن منيف

قد يكون زائداً، وربما متأخراً، كتابة تقديم لرواية في طبعتها الثانية عشرة، وبعد مرور ربع قرن على صدورها الأول!

لكن لهذه الرواية بعض المبرّرات التي يجدر ذكرها، لأنّها تضيء جوانب يحسن النظر إليها رغم مرور الزمن.

كتبت «شرق المتوسط» عام ١٩٧٢، وقبل أن تُنشر لي أية رواية سابقة. ولما كنت غير متأكد، بالمقدار الكافي، أن تصبح الكلمة الروائية وحدها طريقتي في التواصل مع الآخرين، نظراً لأنّ «الموال» السياسي كان لايزال يراودني في ذلك الحين، ولأنّ جرح حزيران كان ساخناً، وكان يُفترض أن يكون الرد على الهزيمة عملاً سياسياً مباشراً، وبالتالي اعتبرت الكلمة الروائية هدنة، يعود بعدها كل إنسان إلى الموقع الذي يعتبره أكثر ملاءمة له، إضافة إلى جهلي، أو عدم درايتي الكافية، برد الفعل الذي قد ينجم عن كتابة رواية تتناول احد ابرز المحرمات: السجن السياسي، علاوة على التوجس الذي يراود من يدخل عالماً جديداً، وممتعاً، يجهل مسالكه، وأخيراً احتمال المنع الذي يمكن أن يواجه كتاباً وكاتباً في بدايته الأولى..

لهذه الأسباب كنت رقيباً على نفسي أثناء كتابة «شرق المتوسط»، اي لم اقل كل ما يجب أن يُقال حول عالم السجن السياسي، وما يتعرّض له السجين من قسوة ومهانة في الزنازين الممتدة على كامل حوض المتوسط الجنوبي والشرقي، والتي تتزايد وتتسع سنةً بعد أخرى، مما جعل الرواية توحي ولا تحكي، تشير ولا تتكلم.

ليس هذا كل شيء، فالرواية حين صدرت، قُوبلت بموقفين يكادان يكونان متعارضين، موقف القارئ الذي يريد أن يعرف أدق التفاصيل عن عالم السجن السياسي، وموقف السلطات التي رأت مجرد الإقتراب من المحرمات، وعلى رأسها السجن السياسي، تعدياً على وجودها وهيبتها، وتالياً فضحاً لممارساتها.

ولأنّ عدداً كبيراً ممن يقرأون له صلة بالسجن السياسي، تجربة ومعرفة، أو اقتراباً، فقد اعتبر أن ما قيل في هذه الرواية غير كافٍ، لأنّ واقع الحال أدهى وأمرّ مما كتب، وبالتالي كان من الواجب كشف الغطاء كاملاً عمّا يحصل في السراديب، وفي العتمة، إذا أردنا فضح السجن السياسي ومقاومته، تمهيداً لإلغائه.

أمّا السلطات العربية، أو مَن يقرأ لها، فاعتبرت الخوض في مثل هذه الموضوعات عملاً إذاً يجب الوقوف في وجهه تمهيداً لإسكاته. ونظراً للتجربة المكتسبة لهذه السلطات، علاوة على ما يصدّر إليها من «خبرة» وأساليب وأدوات، فقد كانت بداية المقاومة الإدعاء أن الأمر لايعنيها، وإنّما يعني الدول الأخرى، خاصة وأن الرواية جاءت بصيغة التعميم، أي أن شرق المتوسط، مع أنه لايسمّي مكاناً بذاته لكنه يعني كل دولة تحديداً. ولذلك، وحين كان يجري الحديث عن «شرق المتوسط» كانت كل دولة تنظر إلى الأخرى باعتبارها المعنية، أمّا هي فبريئة مما يُقال. مع أن العثور على «شرق المتوسط» الرواية، في بعض الحالات، وفي أكثر الأماكن كان دليلاً جرمياً، وتالياً قرينة تُدين مَن يعثر عليها لديه!

أكثر من ذلك، كانت هناك محاولات عديدة للتعامل مع هذه الرواية وتحويلها إلى شريط سينمائي، لكن بعد أن تقطع المحاولة شوطاً تتوقف، لأنّ لا أحد يريد أن يعترف بوجود هذه المشكلة لديه. ورغم أن بعض محاولات نقل الرواية إلى السينما اتسم بالمكر، لإبعاد الشبهة، كأن يُقترح تمويه أو تغيير لهجة الحوار، بحيث تظهر مختلفة بمقدار عن اللهجة السائدة في ذلك البلد، أو كأن يتم اختيار تضاريس جغرافية مغايرة، لتشي أن البلد المقصود ليس ذاك الذي يجري فيه التصوير، إلاّ أن المحاولات كلها انتهت إلى الرفض، وكأنّ كل بلد في شرق المتوسط يقول في نفسه: من أكبر الأخطاء أن يأتي الإنسان بالدب إلى كرمه!

وهكذا ظلّت «شرق المتوسط» تطبع وتقرأ عند تخوم اللون الأصفر، اي ليست رواية ممنوعة إلاّ في عدد من بلدان شرق المتوسط، وليست مسموحة إلاّ بمقدار في أغلب البلدان الأخرى، لأنّ التجربة أثبتت أن الكتب حين تُمنع تصبح أكثر رواجاً، وبالتالي يُقبل على قراءتها الكثيرون، أمّا السماح بالكتاب ضمن حدود وقيود، فيجعله موجوداً وغير موجود في آن واحد، مع فرض الحرم لكي يبقى الكتاب هكذا، أي عدم التعامل معه بأساليب وأشكال يتيح له أن يصبح مادة للدراسة، أو لأن يتحول إلى صيغ جديدة لكي يصل إلى جمهور أوسع، وهكذا ظلّت «شرق المتوسط» تواصل رحلتها الخاصة، وقد استطاعت أن تفجّر اللون الأصفر، وتجعله يضيء الكثير مما حوله، وجعلت الكثيرين يقبلون على هذا اللون من الأدب.

لقد كان لـ «شرق المتوسط»، مع روايات أخرى، شرف التأسيس لما سُمّي فيما بعد: أدب السجون. وأصبح هذا الميدان واحداً من الميادين الأساسية للرواية العربية، كتابة وموضع إقبال واهتمام القراء. كما انتبه الكثيرون في الوطن وخارجه، خاصة بعد أن ترجم عدد من هذه الروايات إلى لغات عدة، إلى ظاهرة السجن السياسي، ومحاولة فضح الإنتهاكات التي يعاني منها جميع الناس وعلى امتداد الأرض العربية.

إنّ فضح إحدى الظواهر السلبية يشكل البداية لمواجهتها، تمهيداً للتخلّص منها، ويأخذ الأمر شكل صراع، وهذا الصراع ربما يطول، وقد يتعرّج. ويبدو أننا اليوم في إحدى مراحل الصراع الأكثر قسوة، وفي أحد المنعرجات الأشد خطورة.

إذ رغم تزايد الكتابات الروائية وغيرها، المطالبة بالديمقراطية، فإنّ القمع ذاته الذي تمارسه السلطات زاد عن ذي قبل، وأخذ أشكالاً أشد قسوة وتمويها، لأنّ الفئات العربية الحاكمة تزايد خوفها، وأصبحت أكثر ضيقاً بالمعارضة، وبالتالي اكثر لجوءاً إلى القمع، وأصبح السجن السياسي الوسيلة لحماية وجودها واستمرارها. ولأنّ أفق العمل السياسي، بمعنى التعدّد والإختلاف، ضاق مقارنة بفترات سابقة، كما أن الغرب تحديداً زاد في دعم الفئات الحاكمة وطور أساليب عملها، وأمدّها بكل الوسائل الجديدة للقمع. وهكذا أصبحنا الآن أمام ظاهرة جديدة وخطيرة: العنف.

إنّ ظاهرة العنف التي تنتشر بشكل متزايد في بلدان شرق المتوسط وجنوبه نتيجة طبيعية لغياب الحرية، ولضيق الحاكم العربي بأية معارضة، ولعدم احتماله أن تكون هناك إمكانية للتعدّد والإختلاف. لقد أدّى ذلك إلى تقليص أو إلغاء العمل السياسي بمعناه الحقيقي والعصري، أي لا اعتراف بالآخر، وبالتالي لا إقرار ولا تسامح مع الراي المختلف. الأمر الذي أدى إلى غياب الأحزاب، وتراجع المشاركة الشعبية، وإلى انعدام الرقابة أو المحاسبة. كما أن الصحافة الحرّة والمستقلة فقدت الجزء الأكبر من دورها، وكذلك العمل النقابي ومؤسساته، إذ أصبحا مجرد أشكال هزلية مهمتها تأييد السلطة ورفع الشعارات.

في مواجهة انسداد آفاق العمل السياسي الشرعي، برز العنف كمحاولة لإستعادة الحقوق، وشق طريق جديد، فدخلت المنطقة في حالة من الصدام الدموي، والعنف المتبادل، مما سبب نزيفاً سوف يؤدي إلى المزيد من التآكل والضعف والريبة المتبادلة.

إنّ مقاومة العنف السائد حالياً لاتكون إلاّ بالاعتراف المتبادل وبالحرية. فالإقرار بوجود الآخر، وحقّه في التعبير والمشاركة، بداية للحوار. أمّا الحرية، وصيغتها العملية هي الديمقراطية، فمن شأنها أن تكسر حالة الإستعصاء القائمة الآن بين الناس والأنظمة الحاكمة، لأنّ الديمقراطية ليست مجرد كلمة أو شعار، وإنّما هي صيغ عملية تحددها طبيعة المرحلة، وهي ممارسة يومية ضمن قواعد وعلاقات يلتزم بها طرفا اللعبة الديمقراطية.

الديمقراطية المطلوبة، والتي يجب أن تسود في المرحلة الراهنة، تعني حرية التعبير والتمثيل والمشاركة في اتخاذ القرار، أي تعترف بالتعدّد وإمكانية الإختلاف وايضاً تبادل السلطة. كما تعني الحق في تكوين الأحزاب والجمعيات والنقابات، وحرية المعتقد والسفر والمراسلة. هذه الحقوق التي يطالب بها

تستند إلى شرعة حقوق الإنسان، كما يجب أن ينصّ عليها في القوانين المعمول بها في أي بلد، ولابدّ أن تخضع إلى الرقابة الفعلية التي يمارسها المجتمع المدني، من خلال مؤسساته. وفي حال الإختلاف أو التجاوز هناك القضاء المستقل الذي يوكل إليه تطبيق القانون وتفسيره، والذي يجب أن يخضع إليه طرفا العلاقة، وأن يحترما أحكامه. وفي حال عدم كفاية هذه القوانين، ووجود الرغبة بتغييرها أو تعديلها، فيجب أن يتم ذلك بإرادة الناس، ومن خلال تعبيرهم الواضح والصريح، لأن هذه القوانين سوف تُطبق عليهم.

في حال غياب هذه الحقوق، او عدم الإعتراف بها من الذين يحكمون، أو في حال تجاوزها، فإنّ العقد الإجتماعي بين الحاكم والمحكوم يختل، وقد يصبح لاغياً، وبالتالي يصبح الطريق المفتوح أمام المضطهد، المحروم من الحقوق، هو العنف، كوسيلة لتعديل الصيغة المختلة، وهذا ما جعل السجن السياسي «يزدهر» في هذه المجتمعات، وهذا ما جعل لاحقاً وسيلة التعبير الأساسية، وربما الوحيدة للوصول إلى الحقوق لمن حُرموا منها: العنف. أما نتائج هذا العنف فتنعكس على المجتمع كله، لأنه في حال غياب الإعتراف المتبادل، وفي حال لجوء السلطة إلى إلغاء الآخر، فإنّ رد الفعل يكون موازياً للفعل، ومن ذات الطبيعة. وهكذا يدخل المجتمع كله في نفق مظلم، يؤدّي إلى الخوف والشلل والتآكل والنفاق، وتصبح لغة العنف هي اللغة السائدة، أو ربما وسيلة الحوار الوحيدة.

لابدّ لكل مجتمع من رؤية تاريخية، والرؤية التاريخية تقتضي ان يؤخذ بعين الإعتبار واقع التطوّر ومهمات المرحلة، كما يجب أن يكون المستقبل حاضراً في كل خطوة، لأنّ قوة النظام، أي نظام، تعتمد على رضى الناس ومشاركتهم. والرضى والمشاركة يتطلبان صيغاً للتعايش والتفاعل والإنسجام والتعاون، الآن، وفي المستقبل، ضمن اتفاق أو توافق تفرضه شروط المرحلة والمكان. أمّا السير باتجاه معاكس: اعتماداً على القوة والإملاء، وباستغلال الموقع أو اللحظة الحالية وحدها، فإنّ من شأن ذلك أن يلغي المستقبل ويعقدّه، حتى بالنسبة لمَن يملك القوة الآن.

ولا تقل عن هذا الخطر محاولة حرق المراحل التاريخية أو تجاوزها، من خلال التوهم بتوفر شروط الإنتقال إلى مرحلة جديدة، اعتماداً على القوة، وبإلغاء الآخر.

إن أياً من هذين الموقفين يخلق المناخ لتوالد الإضطراب ثم العنف، وهذا ما يفسّر الكثير من الأخطاء التي حصلت في عدة أماكن، وفي عدة مراحل، كما يفسّر القمع، ثم العنف الذي يقابله.

«شرق المتوسط» استندت إلى نقطة أساسية هي: شرعة حقوق الإنسان، هذه الوثيقة التي مضى على إقرارها ومهرها بالتواقيع والمصادقات ما يزيد على خمسين سنة، ومع ذلك فإنها أكثر الوثائق التي تعرّضت إلى التحدّي والعبث والمخالفة، الأمر الذي يجعل الإنسان يتساءل: هل تمّ إقرار هذه الوثيقة لكي تتفنّن كل دولة بمخالفتها؟ أو هل أن هذه الشرعة غير قابلة للتحقيق، خاصة في بلدان العالم الثالث، وتحديداً في بلدان شرق المتوسط، وبالتالي لابدّ من تجاوزها حكماً؟

انطلاقاً من هذه النقطة، ولأنّ الفنّانين كالأطفال، يحسّون ويفكرون ويحلمون، فكثيراً ما صدقوا الكلمات التي يسمعونها أو يقرأونها، كما أنهم يرون الأشياء على حقيقتها، حتى لو كانت عارية، ولذلك لايتردّدون في أن يقولوا للآخرين كل شيء، بما فيها عري الملك إن رأوه عارياً فعلاً!

«شرق المتوسط» صدقت، أو حاولت أن تصدق، شرعة حقوق الإنسان، وقالت أن تلك الوثيقة التي حملت هذا الكم الهائل من التواقيع، يجب أن تتجسّد على أرض الواقع، ومَن يخالفها يكون خارجاً على القانون، ولابدّ من فضحه، كما فعل الطفل مع الملك.

بدأت الرحلة اعتماداً على هذه القناعة، فكان السجن السياسي، وكانت فجيعة الإكتشاف، ثم قسوة التجربة.

وفي محاولة لخداع النفس، أو تحدّي الإكتشاف، كان الحلم والحلم دائماً هو مظلة للايام التي ستأتي. وهكذا بدأت رحلة ضياع جديدة في الأمكنة البعيدة، إلى أن جاءت صدمة الواقع، لتقول بصوت عالٍ: الآخر، البعيد، إذا تيقظ ضميره، وعرف الحقيقة يمكنه أن يكون عاملاً مساعداً، لكنه لايمكن أن يكون بديلاً، لأنه لايحك الجلد إلا الظفر، وهكذا كانت العودة، عودة المواجهة ثم الغياب، لكن الضوء الذي اشتعل لايمكن أن ينطفئ، وبدل نجمة واحدة انفجرت نجوم كثيرة.

وإذا كانت «شرق المتوسط» لم تقل كل ما يجب، للأسباب التي ذكرت في البداية، ولأنّ السجن السياسي لم يوف حقه، فقد كانت الضرورة تقتضي العودة إلى هذا العالم الكئيب والقاسي، فكانت رواية ثانية، هي «الآن.. هنا» أو «شرق المتوسط مرة أخرى». ومع ذلك لايزال الموضوع بحاجة إلى مساهمات الكثيرين، لأن عار السجن السياسي أكبر عار عربي معاصر، وقد يفوق الهزائم العسكرية من بعض الجوانب لأنه لايمكن أن يواجه الهزيمة العسكرية، وحتى الهزيمة السياسية، إلاّ مواطن حر، يعرف معنى الوطن، ويعرف كيف يدافع عنه. ومادام هناك سجن سياسي فسيبقى المواطن مقيّداً، وبعض الأحيان غير معني، لأنّ الحرية والوطن شيء واحد.

الأمر الأخير الذي تجدر الإشارة إليه في هذا التقديم، ان الأشياء في أزمنة سابقة كانت أكثر وضوحاً، ويمكن التمييز بينها دون عناء. أمّا اليوم فقد اختلطت الأزمنة والألوان إلى درجة يصعب معها التمييز.

ما نراه اليوم يتجاوز كل حد، ويفوق أي تصوّر أو وصف، لأنّ اختلاط المقاييس الألوان لاتقتصر على شرق المتوسط، إذ أصبحت سمة عالمية بعد أن رفع شعار النظام الدولي الجديد، بزعامة الولايات المتحدة. فالقاموس الأمريكي هو الذي يعطي للتصرفات والأحداث والأشخاص والمواقف الصفات التي يجب أن تكونها. فالنضال المشروع ضد الظلم والقهر، سواء أكان ضد نظام أو حاكم، يأخذ أكثر من اسم وأكثر من صفة، تبعاً لمدى الفائدة أو الضرر الذي يعود على الولايات المتحدة ومصالحها، ولذلك اختلطت المفاهيم أكثر من السابق، واصبحت للكلمات معانٍ متعددة. ووضع مثل هذا، إذا استمر فترة اضافية، يمكن ان يدمّر العالم، ويخلقَ إشكالات غير قابلة للحل.

إنّنا اليوم في مواجهة حالة مركبة، في مواجهة خصمين، الأول محلّي والثاني من وراء البحار، وهناك تحالفات من أنواع متعددة يُراد لها أن تحكم سيطرتها، لضمان مصالح الطرف الأقوى، لكن القوة على المستويين المحلي والعالمي لايمكن أن تدوم طويلاً، أو أن تغيّر في مسار التطور التاريخي، الأمر الذي يستوجب أن يكون العقل والمستقبل من جملة المقاييس والإعتبارات التي يجب التفكير فيها قبل فوات الأوان.

يحدّثنا التاريخ عن أنظمة وامبراطوريات لم يكن لقوتها حدود، لكن التاريخ ذاته يقول لنا كيف انهارت وتفكّكت، وكم دفعت ثمناً غالياً وهي تبارح مواقعها، نتيجة عدم اخذ المستقبل بعين الإعتبار.

يجب أن يقف العقلاء، الذين يشعرون بالمسؤولية، وأولئك الذين يفكّرون بالمستقبل ضد التزييف والمخادعة والفجيعة، ولابدّ أن يكون الإدراك حاسماً أن القوة لاتحل مشكلة، يمكن أن تؤجلها، لكن لايمكن أن تلغيها.

«شرق المتوسط» حين كتبت عام ١٩٧٢، كانت تواجه خصماً محلياً، أمّا بعد ربع قرن، فإنّ ما يواجه الناس على أحواض كل البحار، عدو يتصور أن القوة، والقوة وحدها، يمكن أن تحل جميع المشاكل، وعلى الناس في كل مكان أن يتحولوا إلى عبيد مرة أخرى، أن يطيعوا ويمتثلوا لكل ما يراد أن يفرض عليهم.

بداية التصدي لأزمة الدمار الكلي، على المستويين المحلي والعالمي، أن نخلق المواطن الحر، والشعب المرتبط بالوطن، لأنّ في حال وجودهما يمكن أن تولد الثقة ويتجدد التعاون، كما ينبثق الأمل ان يكون الغد أفضل من اليوم، والبداية.. البداية أن تكون للكلمات معانيها.

الرسالة الصغيرة التي أرادتها «شرق المتوسط» أن يكون على هذه الأرض شعب حر، لأنّ في حال وجود الحرية يمكن أن ينام الحاكم والمحكوم ملء الجفون. أمّا إذا كان الحاكم وحده «حراً»، فإن دولاب الزمن لايتوقف عن الدوران، وقد يجد نفسه مَن افترض انه مالك القوة والحرية أكثر الناس ضعفاً وعبودية، ولن يفيد الندم ان جاء متأخراً.

هل لاتزال «شرق المتوسط» صالحة وقادرة، بعد ربع قرن، على محاورة العقول والضمائر، هنا.. والآن؟

إنّه سؤال التحدّي

بيروت، تشرين الثاني ١٩٩٨

(•) مقدمة الطبعة الثانية عشر لرواية «شرق المتوسط» التي صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ١٩٩٩.

حوار مع الأديب المغربي محمد صوف

أجرى الحوار: إدريس علوش/ المغرب

□القصة القصيرة، الرواية، المقال، أين تجدون متعتكم الإبداعية من خلال هذه الأجناس الأدبية المتعددة؟

■■في الحقيقة لكل من هذه الأجناس فضاؤه، ولكل منها خصوصيته، لا المقالة تغني عن القصيدة ولا القصة القصيرة تغني عن الرواية.

المقالة تتميز بالوضوح إلى درجة المباشرة.. المقالة لاتستعمل الصور البلاغية ولا هي تجعل من فنية الكتابة هاجساً.

ولاتوظف التناص أو المجاز أو الإنزياح، لأنها لاتتوجه إلى هواة الأدب.. المقالة هدفها العموم.

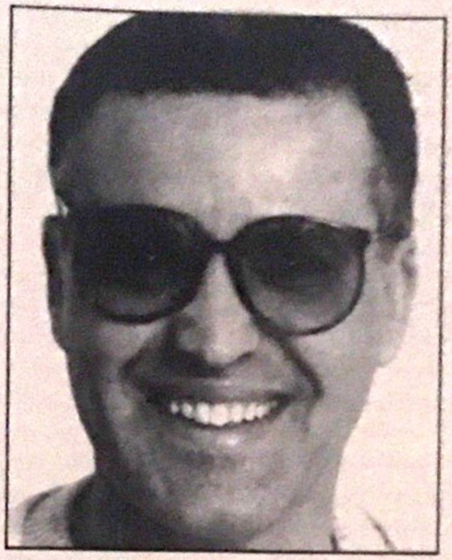
قارئ الجريدة والمجلة ليس أديباً أو ناقداً.. إنه عامة الناس، من المجاز العامل إلى المجاز العاطل إلى الطبيب الذي يملك عيادة خاصة مروراً بالعامل اليدوي.. خلاصة القول المقال يتوجه إلى كل الشرائح الإجتماعية.. ولهذا فالوضوح أهم مميزاته.

القصة القصيرة هم، ألم.. ككل إبداع.. إنها ومضة تؤرق ثم إنها ولادة عسيرة.. لأن الكاتب يريد لقصته شكلاً والقصة تريد لنفسها شكلاً.. ومن هنا تأتي المعاناة.

أما الرواية فصراط أرق من الشعر وأمضى من السيف.. طول نفس.. أحداث وشخوص تتصارع مع مبدعها حتى بعد أن يخطها على الورق.

ولأن القصة والرواية فنان فلابد من خوضهما غمار المغامرة في اللغة وفي التقنية.. عندما يحين أوان المقالة تختفي القصة والرواية وعند حضور القصة القصيرة تبطل الرواية والأمر كذلك بالنسبة للرواية ولكل جنس متعته التي تختلف عن المتعة حين حضور جنس آخر.

□تختلط عناصر السيرة الذاتية عادة في الرواية المغربية، في اعتقادكم ألم يحن الوقت بعد



بسيرة شأنه الأدبي نقدم محمد صوف أديباً ومبدعاً من المغرب، ونترك لقراء الهدف الأعزاء فرصة التواصل معه عبر اجاباته الصريحة وهي ميزة أساسية مستمدة من خلق الكاتب والأديب محمد صوف.

سيرة مختصرة:

محمد صوف من مواليد ١٩٥٠

أصدر جريدة «أوراق» سنة ١٩٨٠ توقفت بعد ستة أعداد

أصدر:

مجموعات قصصية

- تمزقات
- حالات معتادة جداً
- عصافير والبحث عن أوكار
- دائرة المستحيلات
- هنا طاح الريال

روايات:

- رحال ولد المكي
- الموت مدى الحياة
- السنوات العجاف
- حتى إشعار آخر
- دعها تسير

بالنسبة للروائيين المغاربة ليكتبوا رواية خالصة بعيدة عن شوائب سيرة الذاتية؟

■■السيرة الذاتية جنس أدبي مستقل.. له خصوصياته وله مميزاته أيضاً.. وبما أن الكاتب إنسان، أي ذات، يصعب عليه التخلص من ذاته عندما يكتب، سواء كان العمل الذي يكتب رواية أو قصة قصيرة.

هذا الأمر لايقتصر على الروائيين المغاربة ولكنك تعثر عليه في كثير من الكتابات الروائية على المستوى العربي والعالمي حتى..

التخلص من الذات في الكتابة الروائية يتطلب نكراناً لها.. يتطلب انكباباً على اغتراف المعرفة الكونية حتى تتقلص الأنا وتغيب وسط العالم.. يجب إذن أن تتسع الرؤيا.. إذ كلما اتسع جدار المعرفة ضاقت نافذة الذات.

وهذا أمر لعمري غير يسير.. بل إنه العسر ذاته..

من الكتاب من يستطيعون التخلص من اناهم حين الكتابة دون كبير عناء، كتاب الرواية التاريخية مثلاً، فهم يتمثلون حقبة وأحداثاً ويبدعون رؤية، لكن هل هي فعلاً خالية من تفاعلات الذات؟ هذا سؤال يصعب الرد عليه..

ومع ذلك هل تجد شيئاً من جرجي زيدان في رواياته التاريخية وهل تجد ملامح من شخصية إيكو في «اسم الوردة»؟

إلا أن الرواية المغربية تختلف لحداثتها، فهي لم تكتب فعلاً إلا في النصف الثاني من الستينات.

لابد إذن من فعل الزمن.. ولابد من عمق الثقافة ولابد من الخروج من زنزانة الذات إلى عالم أرحب ولن يتأتى ذلك إلا بالمعرفة..

□من موقعكم كمهتم ومواكب للحقل الثقافي بالمغرب.. كيف تقيمون مشهده الآن.. على ضوء التحولات المستجدة عربياً ودولياً؟

■■ماذا أقول لك عن الحقل الثقافي في بلادنا؟

يبدو أن هم الكسب طغى ويزداد طغياناً وأن الثقافة تعيش كركوزاً في يد السياسة، هي مجرد خادم مطيع لسيد اسمه السلطة.. الثقافة الرافضة، تلك التي تعلن عن هويتها المستقلة عن كل تبعية والمواجهة لكل تكريس تعاني الأمرين.

كيف نتصور الثقافة في بلد أكثر من نصف سكانه أميون؟ أميون بمعنى أنهم لايستطيعون فك الحرف، والأقل من النصف الباقي أكثره غادر المدرسة في سن مبكرة.. والقلة القليلة ما إن توظفت حتى أعرضت عن الكتاب وجلست خلف جهاز التلفاز تعب يومياً وبكل سلبية الصور من

مختلف أنحاء العالم.

كيف تتصور الثقافة في بلد لا يتقن لغته الأم؟!.

وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فما عليك إلا أن تنظر حواليك لتجد أن العربية غريبة في المغرب كصالح في ثمود رغم أنها لغة البلاد الرسمية.

إذا كتبت بالفرنسية لك من الحظوظ ما لايتوفر لك إذا كتبت بالعربية. إذا أصدرت جريدة بالفرنسية تجد مصادر لتمويلها وتقبل عليها الشركات قصد الإشهار أما العربية فيجب أن تنتظر الدعم أو أن تعتمد على قدراتك الذاتية..

حتى توجيه التلاميذ المتبع في التعليم يهجن اللغة العربية.. كل تلميذ متوسط غير متفوق في أي مادة من المواد يتم توجيهه آلياً نحو شعبة الأدب العربي..

أسوق هذه الإشارة دون تعليق على موقع اللغة العربية من اهتمام المسؤولين.

ثم تعالوا لنستمع إلى خطابات كبار المسؤولين في العالم العربي ودعنا نحصي الأخطاء اللغوية التي يرتكبونها.

عندما يرتكب مسؤول عن الهوية العربية أخطاء في اللغة العربية، هذا معناه أنه لايضع سلامة لغته في اعتباره وهذا نوع من محو الهوية..

لنفرض جدلاً أن مسؤولاً كبيراً فرنسياً - مثلاً - خطب وارتكب أخطاء في اللغة. هل سيغفر له مجتمعه ذلك؟ من المؤكد أن الدنيا ستقوم ولا تقعد.. وأن الرجل لاشك سيقدم استقالته..

قبل هذا الإحتمال. إذا كان الرجل لايتقن لغته فإنه لايجرؤ حتى على مجرد الحلم بالحصول على منصب في تسيير الشأن العام.

قارن ذلك بما يحدث عندنا من المحيط إلى الخليج..

□التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاشم آفة لم يسلم منها الوضع الثقافي والإعلامي المغربيين. في رأيكم أين تكمن خطورة هذا الأخطبوط والسرطان الصهيونيين؟

■■التطبيع حتى الآن إرادة رسمية.. الكيان الصهيوني اخطبوط ذكي ويعرف من أين تؤكل الكتف. ثم إنه كيان كان دائماً يحدد أهدافه ويرسم خططاً للوصول إليها.. وهو يصل إلى أهدافه لأن خططه لاتبقى حبراً على ورق وإنما تترجم على أرض الواقع.. إنها - أي خطط الصهاينة - تراجع بدل المرة ألفاً وتقيّم ويعاد تقييمها وتحيينها حسب مقتضيات الظرف..

هذه عقلية لانملك نحن منها شيئاً، والذين يعون ذلك ويسعون إلى استخدام العقل العربي بطريقة فاعلة قلة أولاً. ولأنهم فاعلون فالكيان الصهيوني يستعمل اليد العربية لتهميشهم أو تدجينهم أو تصفيتهم بطريقة ما.

الأخطبوط يعي أن الإستعمار الجديد الفاعل الآن هو الإعلام بكل وسائله ولهذا تجد دائماً يداً صهيونية خلف كل حقل إعلامي.. خلف صياغة الخبر وتقديم الصورة ورسم التحليل المغرض بطريقة تسلب العقل السلبي.

□ما جديد الأديب محمد صوف؟.

■■بعد رواية «دعها تسير» لعل استراحة المحارب تفرض نفسها. أعتقد أن استعادة القوة والنفس تحتاج إلى وقفة قبل أن أعود على غرار جميع من ابتلي بالكتابة، إلى مصارعة طواحين الهواء..

لذا.. لاجديد لدي الآن..

□حتى لانختم لابأس من كلمة لقراء مجلة الهدف.

■■قراء الهدف هم العرب الذين يبحثون عن كل الحقيقة والحقيقة في هذا الزمن مرة ولكن لابد من مواجهتها. لابد من إخراج الرأس من الرمال لنعرف أنفسنا أولاً وإذا عرفنا أنفسنا وهو أمر لم نحققه بعد سنعرف أصدقاءنا وسنعرف أعداءنا. بعد ذلك سنطلب من الله أن يحمينا من أصدقائنا لأننا سنكون كفيلين بأعدائنا.

حتى الذين لايقرأون «الهدف» هم قرأوها لأنها صوتهم. ولو كانت ثقافة القراءة عندنا سائدة لإستطاعت الهدف أن تصل إلى كل بيت لأنها رأي لايخلو منه بيت عربي من المحيط إلى الخليج ■■

فيروز: طقس من ينابيع الروح..



يوزعنا هذا الصوت الممتد من حنجرة تختزل كل جراحاتنا العادية/ عبر غناء يوشح المعيش اليومي باشتعال الأسئلة/ ويدعو الأفق الرمادي ليكون أكثر اتساعاً للزرقة.. وتبدو «فيروز» الصدى الثائر/ مسافة بين المطر/ والأرض.. بين الفصول الأربعة/ والأطفال الموشحة أعينهم بورود الأمل والفراشات.. بين ضفاف النوارس/ وحوريات البحر.. بين بسمة هادئة/ وحزن دفين.

يمطرنا صوتك يا فيروز.. آه كم يمطرنا..!

فننسى اعتبار الزمن/ ونستحضر كل الأمكنة من بيروت.. يافا.. عدن.. طنجة.. حتى آخر زقاق في قرطبة/ والوطن العربي يحتاج الآن - أكثر من أي وقت مضى - لأكثر من بسمة/ ووردة/ وأنت - يا فيروز - الوردة فينا.. أنت الأريج/ وأنت بوصلة حلمنا المشبع بأنبل نطفة ستختزل العروبة في ومضة من السلام/ والصفاء/ والوحدة.. وليكن ما شئت معقل «الفن يجمع ما تفرقه السياسة»..

وللبنان المثخون بالجراح النازفة أمطرت فيروز أول دمعة مالحة وعنه قالت «غنيت لبنان كقطعة مني بل وكأغلى أحلامي..»

ولخريطة الشعراء الشاسعة الممتدة من جراح النفط حتى صوت المئذنة، أن تنشد فيروز ما جاشت به روحهم من عبير اللغة/ ولمحمود درويش أن يفضح شاعرية الحياة «ماذا ستكون شاعرية حياتنا لو لم تكن فيروز أغنية حياتنا القادرة على تظليل حياتنا بمزيد من الجلنار؟ أصفر، وتجعل القمر أكبر».. وللزمن العربي الوغد أن ينقشع غمامه حين ترتلين كالملائكة أغانيك طقساً مستلهماً من ينابيع الروح.. وللطاهر بن جلون أن يهتف لك «في هذه الأزمنة السوداء وحدها ذاكرة أرض مازالت تبلغنا هي صوت فيروز الجميل لأنه العابق بالنوم والسلام الدائمين. المطبوع بالعاطفة العميقة، الآتي من بعيد. هذا الصوت الحر الذي لايمس. لايقول لنا الوقت المقتول فحسب إنما أيضاً الجارح هنا وفي كل مكان، شكراً لفيروز لكونها هذا الصوت..»

فيروز

..و/
فيروز
شرفة توزع
الحب مطراً
عبر الأغنيات..
وتفتح نافذة
لأفقنا العربي المنفي
في جراح الذكريات..
..و/
فيروز
ومضة تشتهيها كل الفصول
حين تحوم حولها الفراشات..

أ. علوش

حرير

نص إستهلالي لنثر موسيقي

محمد خير محظية

هذه الأوراق كان قد أرسلها لنا الشاعر والكاتب محمد خير محظية قبل رحيله بفترة قصيرة.

وفاءً لذكرى هذا الشاعر - الفنان الذي عاش وحيداً ورحل وحيداً تنشر «الهدف» هذه الأوراق.

المحرر

جاء في الروعة الإلهية:
«..تجرّد من الإنسان العتيق!..
ألا تعلم أنك ثريّ بالزمان!..
ألا تعلم أنك ثري بالذاكرة!..
إنك تحمل في أعماقك عبثاً،
زمنهُ.. هو زمنُ الكون!..»

حول اللوز أقولُ: الهواء فيه بلّوري العاطفة، واللمس عشق يأخذ من سحرهِ صهوة ضبابية، حضوره، هطول يعبر في المساءات الدافئة مثل سريرٍ من الأرابيسك، يفرش هناءات تحمل خُطىً تنداح في مدىً.. تنفض البرد والتعب، يغرق الشفيف، والشرايين تنضج بروعةٍ..

هو اللوز.. يسيل من الريشةِ بحفاوةٍ ولذة وخفّة لهنّ القدرة على طعن الحرارة، يتوحد الصمت إلى حدّ التمزّق الكامل..

هو اللوز.. الإبتسام الفجري.. القهوة تصبح للصباح سعياً تُلاقي وجه الأرق.. يفرك النبيذ ليلهُ ويحتلّ الفراغ..

إنه اللوز، لايفقدنا السؤال المدهش.. يحضر بإبداع طافح كشعاعٍ.. فالسواد يولد تامّ البهاءَ، عفيفاً حتى التباهي، يعشق الخلود والنار!.. وفي أصابع الأناقة يسمو.. لازجاج يخبو مع أنفاس حلوة باسمة.. فالضباب يدفع فرح اللوز إلى ضفّةٍ من الأسرار المخبأة في شفتين طريّتين وآهٍ.. آهٍ واحدة تلهث بجسدها الوردي، وأسنان الحبيبة العاج تُلاطف لذة فمها.. الخمرة المضغوطة بالضوء العقيقي تُعطّر الهالة البنفسجية وفي طيّات من الريق تختمر الآه في الزوايا.. والألق يترصد نثيث الهواء اللوزي..

لوزٌ مُطْهمٌ بالبياض، كهمهمة زهرة القطن، ومازالت ترفع أنوثة تنمو كالبدر.. إنها النسمة الساعية إلى بلبلة الندى..

وأنا أركع أمام صفحة المدى الربيعية، تلثمني نسمة طريّة، اغمض عيني، تتفتّح لروحي لوحة لوزيّة.. للوز حنان أخضر وشفاه وَبَريّة بيضاء.. في صدره تنام الأنوثة، كموجةٍ تستريح.

موجٌ هوى يُبحر في وسن عينيها، تبتهل الآه برضى حرية، تعانق حرارة حالة، وحرير الآه يتكاثر، فينمو اللوز..

على حافة اللون..

كان الأزرق يبحث عن وسيلةٍ للنوم السريع - وبحلاوةٍ تغمر المساءات - زَمَق الأخضر، فَرَقّ فؤاده طيبةً.. وثمّةَ طنينٌ يحرث الضوء الفستقي، فيشرئب في الروحِ ماهر رجا!..

لم تغنّ فيروز بلا مهرجان، كي لاتخبو حساسية التُراب في الأزهار، وقصّة الذوق فصيحة أولى لعائلة الألوان في قوسِ قزح.. فلم تخرج متعة الغرور من البنفسج..

قال: إنّ الصمتَ ابيضُ..

الإرتعاش وردي، وفيروز - بعد ختام اللحن - أقفلتْ نغمات حنجرتها، فأضاءت سماء الأسطورة.. الصمت يحدّد لون النعاس «بلحنٍ وردي» اللمعة تسكن اصفرارَ السّفرِ الإلهي، والأجمةُ مأوىً لليمام الخائف، والصوت المبحوح يَعْلَمُ أنّ لثمةَ التراب لها طعم البياض.. العين تتلعثم حينما تعانق زبد البحر.. وفي التيه كانت تنقذها نشيد النوارس..

من صخرِ منقار الليل.. ومن خيزران رمشِ طنينه.. فمازال يعبّ وجع الغربة.. اليد كانت ترسم الذكرى بوشوشاتِ أمٍّ، تماماً كالبدر، سماحتها من رقيق نسيم، وشوقها من لهف انتظار، تغرّد في كفّ الدعاء، والإله رونق لهواء صبرها..

أحاول أن أدخلَ الليل، يذوي الطنين، ارتمي في ذاكرة اللوز.. اجد أمي في صلاة الدعاء المستمرّ.. وَجَمٌ من الإبتهالات تكحّل رغبتها في جلالة.. تبتسم الأضواء، أمي تبوح بدفءِ لوزي وَيَقيم الأزرق صلاته عندَ حيز الماء والسماء ويغرّد الضباب للطهارة، تتوضأ أمي، بضباب الطهارة تتوضأ، ولهذا كانت ثرّة بماء عينيها.. يتكوّن الضباب أدرك حينئذ أن الحيزَ تفصله شحنة ضبابية، وأمي بستان الزرقة «وقتذاك كنت أسمع أنّات آلامها..».

فيروز، كاللوز، لاتخون العصافير، في رمش صوتها تقطن أعشاشها، فهي غرّيدة، لموسيقاها ركن دافئ، وصدر أمي وطن الأبيض، ولسخونة الحليب دفء موسيقي، لهذا أشعر بالحنان المتنقل بين صدر أمي وصوت فيروز.

الرقّة بيضاء، البياض رقة، فيروز صوتها، وصوتها ميناء الألوان صدر أمي حنان فيروزي، والحنان أبيض، وهو نعمة الطبيعة المبعثرة في درب البرزخ، أمي شذى لوزي وشدو فيروزي، إنها الحانٌ تُعزف في أصابع الكون، حيث الوطن المزجج بكل ضوء.

لم أعرف أن الضوء طريّ، إلاّ حين أصغيت للهمس النابع من أنفاس أمي..

الضوء شريك الحب وصوت فيروز..

الضوء بلوري العاطفة، شفاف، وهو من عوائل اللوز..

وجهُ أمّي ضوء ناعم، يُحلّق في الرقّة..

الأخضر لذيذ الحضور، كما البحّة الزرقاء في نسمة أيار، إنه عشق لوزي يبارك مسافة العمر.. على شفاه اللوز ثمة طربٌ صوفي الحسّ واللمس، إذْ يهزّ الودّ من بصمات الأنامل.. الودّ الذي يوازي الحنان المولود في حضرة أمي، وقد رَشَفتهُ روحي من حضورها.. أحياناً، ينهمر من رعش فيروز اخضرار رائع، وقد يكون الوقت في شتاءٍ، حيث الأخضر في ندرةٍ..

في أول الرّهام تنضج الارض، نتحسس أول البرودة، وتكون التربة مبلولة، ولرائحتها رحيق ألذّ ما وهبه إله الطبيعة - هنا فوجئت بلفظة الهِبَة، فانتعشتُ - وحضور زكريا ينثر حوله بياض التضحية والإنهمار الملائكي.. وينقل للفؤاد معاني سماوية، إنه يعرف رهيف الوبر في اللونِ..

هو اللوز.. يحضرُ، في كلّ بيتٍ تدخله وتجد فيه مكتبة أدبية تذكّر اللوز.. فتّش حينها خلف الكتب عن زجاجات الخمرة المدفونة مع الشعر.. مع الإبداعات التي خَلَقتها ايادٍ بشرية خضراء كاللوز، وإذا وجدتَ، لابدّ أن تجدَ فيروز تتنفس داخل جهاز «الريكوردر» وأينما رميتَ نظرتك ستلتقي مع بوشكين وبودلير، مع درويش وغوته مع نيرودا وبدوي الجبل، وفي الجهات الأخرى سترى عالم الإنطباعيين والتعبيريين وأن الشموعَ تسكن بأدب أبيض خصر البيت، وكل الحنّان في زفاف يزغرد كأمومةٍ يرعاها إحساس موسيقي دافئ..

ثمة كلمةٌ تولدُ.. تخوم مهجتها نبرة، تبهر الضوء.. حواء كالكلمة، مشبعة بالأنوثة.. جبينها إله يغفو والرهام في جولة لوزية يفلت من شفاه نوّار.. لكل لونٍ شريان

بغذيه حنين.. فوجهُ أمي نبض مشرق لايموت.. إنه يبارك الدمع، بخلق الإنسانية الدمع ماء ممزوج بحرارة الإله.. الإنسان، دمعٌ، ميلاد الدمعة بفكرةِ الإنتحار أشبه.. وللحرير لطافة.. من يدغدغ اللذة برنوي حينما يمرُّ تحت النعومة، وبحن إلى رقرقة الأنوثة، فهو يستطيع أن يرعشَ اللحظات بدفءٍ نادر.. ومحمود درويش، بصفد تلك اللذة.. ويضيق المسافات، مُحدداً متاهة الضوء، فينْدَهْ:

«كنْ لقيثارتي وتراً أيّها الماءُ..»

كُثرٌ هُمْ الذين يستطيعون لمس الحنان في الماء، ولولاه ما كانت الشفافية.. الماء نقطة قرمزية في عيني السيد المسيح..

برغم صعوبة الهبوط حيث الزمهرير النازف تذكرت الغزالة.. فالمدى من ريح وشمس.. فمنِ الصخور تدخلُ عالم التجريد الفني..

الصدق ألطفُ من الطباشير، وأرقُ من ممحاة، يخدشه الماء إن لامست عيناه النعنع الأخضر!..

وأنا أُطلّ على حقل الغروب ترقص أمامي لوحة بقيت في قعر الصيف.. حيث الحصاد والرذاذ في عناقٍ سماوي، ويتطايرِ الضوء على صفحة السماء يرشّها بريحِ قمحية..

أَتْرسُ باب حصني المفكَر، لأراقب البدر الناضج.. أدنو من تفاصيل ذرّاته الململومة بشبكٍ جُماني.. تحضر عندئذٍ فتاة النشيد.. وفي جمال بسمة بنفسجية يعكسها الغروب، تمدّ لي من بين أصابعها «رمّانة» وترتجف بزهو أشبه بَعُرسِ عصافير ترقصُ رقصةَ تمازجٍ ربّاني له نقاءٌ لطيفٌ عطوفٌ شذيّ.. تصاحبها طلّة لؤلؤية، وقبصها الشفيف «الأخضر» يغمر رطوبة تحاكي ملامح الملائكة.. رطوبة من رائحة عذراء..

أبداً لن أنسى حجم البياض في محيطي.. كان جمّاً/ حنوناً، دافئاً.. كالحبِّ الثلجي له نبل، أعرف الياسمين والنبل، كانا بلطفان سمائي واللغة توازي النغم الفيروزي.. أنا واللغة عائلة واحدة.. أتبلبل حين الكلمات تمرّ ومضاً.. كنت أعاود الكرّة فلم أرتو من النهل.. في المقابل أقف بخشوعٍ عند نبعِ ماء.. اغبّ عليّ ارتوي..

أبداً لم أنسَ حجم البياض في اللذة، إنه العناق الناضج عند اليمام.. والزرقة المبتلّة بالابيض ترفو هديلاً فيروزياً، وتغمر روعة أنثوية.. ولما صحا قرص الشمس، تذكرتُ الأقحوان..

على حافة الغروب..

برنينٍ ناعم يبوح الخيط الشعاعي ومثل حبّاتِ الزعرور، تتجمّع باقة عقيقية، تغرق في مهجة اليمّ.. حريرٌ نبيلٌ يدفعه الصباح، يلامس الجبهة باحترام قطني مُلطَف، تسعد الفراشات وتنتقل باجنحتها في صبابةٍ لقحتْ بنبيذٍ شفاف، عسليّ الطّيبةِ..

للقهوة مودة بريئة اللّهج[1].. إنها تشربُ من الماء انوثة فضيّة ويا ماء النبعِ ساصحو معك، انتشر في صحوة تامّة من سحر الطقس الذي يزفّ القهوة إلى الروح.

قالت زامفيرا[2]: ساطوي ثوب الليل، فالصداقة أشرقت بطاقتِها الشعاعية والياسمين ذرٌ انفاسه

وعلى حافة النعاس...

ثمة بياضٌ يهجمُ.. يهبني صفحة الفضاءِ بلا حدود، فلا امتلك أصابعي من نشوة الحرية.. ينضج المدى، تفيض مداركي، وفي الفراغ أنعسُ. العيون مطفأة في ليل الوحدة، لكن عين الشاعر كوكبٌ..

أنا واللغة لون واحد.. طعم الليل شعري.. أفكر بالبياض الذي يجتاحني بالياسمين، فتهدأ روحي.. اغامر بالصراحة صمتاً!.. أحسُّ بالطعن.. كان الأبيض ينقذني دائماً.. إلى ما بعد البرزخ على حافة الرمادي ذهب «توفيق زيّاد، وجبرا إبراهيم جبرا، وأميل حبيبي» وأعترف أن للنبالةِ معنىً شاملاً في الأبيض، وعندما أتذكر وعيَ الياسمين في اليقظة الصباحية، اعرف أن لزهرة الياسمين دور الرسولة، والحنان كبير يغفر الخطايا..■■

١ـ اللهج: الولع

٢ـ زامفيرا: بطلة قصيدة الفجر عند بوشكين.

أم العزم

أزقةُ المخيم تضج بصخب أقدامنا.. ترابٌ يعفرُ الوجوه والعيون.. تخرج ساعة الهجيرِ مشفقة بنا.. تنادينا برفق.. نتحلق حولها تحدثنا عن البلدة التي رحل أهلنا عنها.. تصف بإحساس لا يدرك عمقه إلا من عايش الشجرَ وعصافير الصبح.. السهل وما فيه من الخير.. ألوادي وصدى الصوت يجلجل.. الجبل جليلة والكرمل عناد السنديان ومرارة الملّ.. البحرُ والتراشق بمائه.. تتلبدُ عيونها بغيوم الوقت ـ تنهل دموعاً غزيرة. تذكر بلوعة. خبز الطابون.. زيت البعد (الفقيش).. الزعتر الفواح.. صيادية السمك.. تقفل كلّ عبارة.

عبرة.. بتنهيدة طويلة. وتقول:

آهِ لو تأكلونها يا أولادي. لن تنسوا طعمها اللذيذ ما حييتم.

مذ بصرنا لأول مرة.. كل مرة.. نرى تلكمُ الصرّة معلقة بجديلة شعرها الكنعانية.. تنتقل إلى زنارها المقلم.. أثناء حديثها تنقل الصرة من جانب إلى آخر.. ما بين تفقد لها و.. وفي كل جلسة نحن جالسوها في حضرتها كان لكلماتها طعمٌ جديد.. حاولنا مراراً معرفة ما في الصرة. عبثاً فهي عصية عن البوح به.. تصرفنا عن طلبنا بحبات من السكاكر أو لعبة (منيمشه) أو غير من الألعاب الفلكلورية. حفيدها كذلك ألح. لكن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.. توالت الأيام تعدو. بين أيدينا وتحت أرجلنا.. شبت بنا السنون.. هرمت المرأة.. اعترى التغيير المكان بكل محتوياته وموجوداته. لكن الصرّة ما زالت على حالها. مجالها الحيوي من الزنار إلى الرأسِ مروراً بحرم القلب.. كبرنا.. كبر لغز الصرة في عيون عقولِنا.. فقد حفرت لها موقعاً في الذاكرة.. شاغلت الخيال. صرنا أكثر إلحاحا على معرفة ماهية المارد المكنون في (القمقم) الصرة.. توفى الله ذات الصرة.. بكيناها بدموعٍ حرى لذا سأعلمكم بما فيها لأنه لم يعد سراً. بعد أن فضت عقدتها. لكن قبلاً أجد لزاماً علي أن أخبركم بالأقاويل في مقتناها. ذلك للأهمية. قالوا فيها ذهب.. بل فيها جوهرة.. ياقوت.. زمرد.. تمائم وحرز.. الحقيقة انكشفت على يد ولدها الأوحد.. غيبت في عقدتها خمساً وأربعين سنة تباعاً.. أمام حفيدها هُتك سر الصرّة..ليظهر منها جسم يخطف البصر عندما تتغشاه أشعة الشمس.. قمر وضاء.. مفتاح الدار في البلدة الكرملية.

أم العزم (٢)

حيطان المخيم إزينتْ صدورها بنياشين الفخر... كلما طافت كوكبة شبان تزف عريساً. أطلت الأم برأسها من الباب وصدحت بزغرودة.. ثلاث مرات شاركت في مراسيم الزفاف... هزجت من الأرض. عناقاً مع السماء أعوام طويلة مضت على ذا الحال... انقضى من عمرها ثلاث وستون سنة.. ارتحل الأحبة ولم يبق لها منهم إلا هو... إندلقت من فم المخيم زفة.. تعالت الأصوات... عريس جديد... بفعل القصف قضى.. بعملية حدودية... زغردت... سألت من ذا يكون..؟!

الابن الرابع. أغلى الغوالي.. سجي على الأكتاف.. معطراً بدمائه... تلاشت الآمال... زاغَ بصرها... دارت الأرض تحتها... ماجت السماء فوقها... ترنحت وما سقطت.. أيدي الأبناء سندتها... لبوة وثبت وسط الجمع.. ما جاحت ولا ناحت.. ما لطمت خداً ولا قدت جيباً.. دموعها على وجنتيها مدرار.. حشرجت.. بعد أن تحجرت الكلمات في حلقها ويبست نظراتها... جادت قريحتها. الحمد لله الذي رزقني أربعة عرسان مهروا دمائهم لعروس تزينها شامة الدنيا.. ما بين عقل الجنون وجنون العقل.. اندفعت وسط الحشد.. رقصت.. هزجت (بالهنا يامّ الهنا يا هنية). حاولت خطف بندقية لتطلق منها زغرودة بالنيابة... منعها الشبان.. غنت وما غنت.. اختنقت الكلمات كُمثْ الألحان.. غنوا لها «يام الشهيد.. زغردي.. كل الشباب أولادك»...

قالتِ اللهمّ اجمعني بهم في الجنة.. عوضني اللهم من لدنك صبراً وخيراً..

أُودعَ في بطن الأرض جثمان الشهيد.. اهتزت له الأرض وربت به... وازدانت صدور الحيطان بوسام جديد بطن أمه يربو شهراً بعد شهر «كثر اللغط في المخيم.. مسكينة.. كبرت وفقدت ضناها.. لفراقهم سقمَ جسمُها.. وضعها ما عاد طبيعياً.. بطنها ينتفخ.. مرضها ربنا أعلم به... شكلها ينذر بالحمل... من لوعتها حملت حملاً كاذباً.

الشهر التاسع بعد زفاف آخر نجل.. زف الركب للزوج بشارة.. الثكلى ما عادت ثكلى اليائس عادت أماً.. ارتسمت على الوجه إشارات شتى؟!.. ما رزق الله؟! مولوداً ذكراً.. ذلك هو العريس الخامس حط كجلمود في حلبة المنافسة...»

عدنان أبو زليخة

... ولنا صهيلُ الخيل

محمد خالد

إذا كنت تخطط لسنة واحدة.. ازرع أرُزّاً
إذا كنت تخطط لعشرين سنة.. ازرع شجرةً
وإذا كنت تخطط لمائة سنة.. ازرع رجالاً

(مثل صيني)

نستطيع أن نزيد على المثل الصيني تخطيطاً رابعاً:

إذا كنت تخطط لألف عام.. ازرع مؤسسات..

إن تاريخنا العربي مليء بالرجال الذين زرعتهم الأمة ولكنهم لم يتحولوا إلى مؤسسات.. إذ من السهل تحول مؤسسة إلى شخص.. الصعب هو تحوّل الشخص إلى مؤسسة.

ـ في مطلع هذا القرن قام الثوريون الروس ببناء أول دولة اشتراكية في التاريخ شعارها المتدرج: [من كلٍ حسب طاقته.. ولكل حسب عمله] إلى إقامة الدولة ـ الحلم: [من كلٍ حسب طاقته.. ولكل حسب حاجته].. وفي أقل من سبع سنوات يأتي إلى الحكم فرد ـ ستالين ـ استطاع أن يقضي على مؤسسة الرجال الجماعية ليأتي برجال المؤسسة الفردية.. مؤسسة الدكتاتور الأوحد.. وكان التحول مريعاً:

فالقاعدة اختصرت الجماهير..

والكوادر اختصرت القاعدة..
والحزب اختصر الكوادر..
واللجنة المركزية اختصرت الحزب..

والسكرتير العام اختصر اللجنةالمركزية... وبذلك اختصر فرد واحد جميع المؤسسات وتمت ولادة الزعيم الديناصور الذي زرع بذرة انهيار الإتحاد السوفياتي لاحقاً..

ـ التاريخ العربي زرع عدداً كبيراً من الرجال العظام ولكن المؤسف أنه لم يحصد مؤسسات توازي أولئك الرجال.. إن عمر ابن الخطاب وحده قد وضع الأسس الراسخة لمؤسسات عدة يجري تطبيقها اليوم بعد ١٥ قرناً من الزمن

○ إن صرخة عمر: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» هي تأسيس مجتمعي يؤكد مساواة البشر منذ الميلاد بغض النظر عن اللون أو الجنس أو الدين أو المرتبة الإجتماعية..

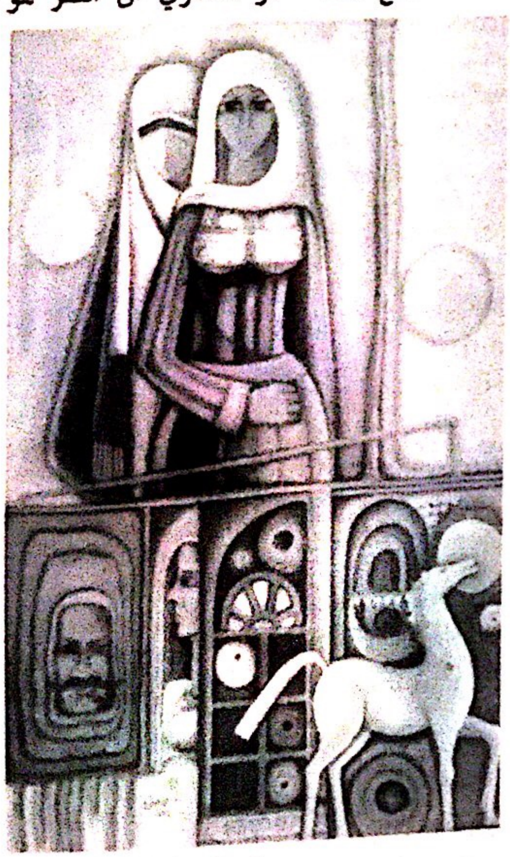
○ وكتاب عمر لعمرو بن العاص والي مصر بأن يهدم جزءاً من المسجد الذي بني على انقاض منزل لرجل يهودي فقير رفض أن يبيع بيته لإقامة المسجد فصادره الحاكم.. يقول عمر: [أعد لهذا الرجل بيته.. يَعْوَجُ المسجد ولايَعوجُ الحق].. وقد تم هدم ذلك الجزء من المسجد واعيد بناء بيت اليهودي مكانه.. هذا العمل يصح أن يكون قانوناً يمنع أي متنفذ أن يصادر مالاً أو أرضاً أو بيتاً لإنسان فقير حتى ولو كان حاكماً أو وزيراً أو رئيس بلدية أو ضابطاً إذ يقف له قانون عمر بالمرصاد: (لا رأس فوق المساءلة.. لا حصانة أمام العدل).. إن المقياس الحضاري الحالي لأية دولة أو نظام هو الإجابة على السؤال التالي:

كيف تحمي الدولة أضعف إنسان فيها؟

وقد فعل عمر بن الخطاب ذلك قبل ١٥ قرناً من الزمن.

○ في الاعلام والحاشية لكل نظام وضع أبو بكر الصديق قانوناً ذهبياً عندما قطع أحد الذين كان يكيل له المديح العالي: (إنني أقل مما تقول.. وأكبر مما تظن).. لقد رفض ـ في مقاييس زمنه ـ اعلاماً منافقاً يغدق على الحاكم صفاتٍ ليست فيه، مانعاً بذلك تأليه الحاكم وجعله مستبداً.

○ كان أبو ذر الغفاري رمزاً للمعارضة الثورية وصاحب حرية الرأي الآخر عندما أطلق صيحته التاريخية: (عجبت لجائع لايخرج على الناس شاهراً سيفه).. لقد كان يجيب على سؤال تاريخي حاولت جيوش الطغاة والمتسلطين طمسه: هل الفقر ارث اجتماعي ام ارث إلهي؟ وكان جواب أبو ذر الغفاري ان الفقر هو ارث



اجتماعي يغيره الناس بسيوفهم إذا لزم الأمر..

○ عندما عزل الخليفة عمر القائد العسكري الفذ خالد بن الوليد والذي لم يخسر معركة حربية واحدة في حياته، كان بذلك يزرع مفهوماً أساسياً في نظام الدولة هو خضوع القيادة العسكرية لأوامر القيادة السياسية.

○ عندما نظر هارون الرشيد إلى تلك السحابة الماطرة خاطبها مطمئناً: «أمطري حيث شئت.. فإن خراجك لي».. لقد كان يتحدث عن دولة مركزية موحدة يعمها الخير من أقصاها إلى أقصاها..

إن ذلك يذكرنا بالطرفة التي تتعلق بالدولة القطرية إذ تقول:

«أقيمت صلاة الإستسقاء في الفجيرة، فأمطرت في باكستان».

هؤلاء الرجال العظام لم تتحول أعمالهم إلى مؤسسات راسخة للعدل والحرية والدفاع عن الحق والإيمان بالمساواة بين البشر.. إذ يبدو أن مازرعته الحضارة العربية في بلادنا قد تم حصاده في الغرب.. فهذه المؤسسات سبقتنا إلى هناك وتركتنا نتغنى بأفراد نتمنى عودتهم المستحيلة مرة أخرى..

- قليل من العزاء:

قبيل الثورة الفرنسية وفي إحدى الحفلات الملكية التي ضمت الأمراء والأميرات وكبار رجال الدولة سأل المفكر الكبير: هل تعرفون ما هو اليوم الأسود في تاريخ فرنسا؟ وصمت الجميع بانتظار الجواب.. فأكمل قائلاً: «إنه يوم خسر العرب معركة بواتييه (بلاط الشهداء).. فلم يستطيعوا العبور إلى أوروبا ليعلّموها الحضارة».

الجبناء لاينتحرون

لاتناقش الأغبياء.. لأنهم يجرونك إلى مستواهم.. ثم يغلبونك بالخبرة

في الثعالب بعض صفاتهم..



ففي زمن الأحلام الكبرى كانوا يختبئون.. فلم يشاركوا في مظاهرة أو التوقيع على عريضة أو توزيع منشور أو الاحتجاج ضد شيء أو حضور ندوة أو اي تجمع وطني كانوا أبطالاً سريين في حزب اللاحزبيين..

- لم يكونوا مع أحد أو ضد أحد.. لا رأي لهم في شيء.. رأيهم هو آخر رأي سمعوه.. منذ ثلث قرن وهم كالماء لالون لهم ولا طعم ولا رائحة.. لم يكن لديهم سوى قاموس الرقاب المحنية.. يرعبهم أقل رموز السلطة تخويفاً: شرطي المرور وموظف المطار وحارس البلدية ومحصل فاتورة الكهرباء.. لأنهم أبطال الطاعة غير المشروطة.. فمنذ شبابهم كانوا أصحاب «البيات الشتوي» الطويل في قضايا الوطن.. وعندما استفاقوا بعد ثلث قرن كانوا خميرة التطبيع مع العدو ودعاة الإنفتاح المنسيب وفي طليعة بيع القطاع العام وخصخصة المشاريع الناجحة.. هم الآن يتصدرون فرش السجادة الحمراء أمام المستعمر الجديد. وطنهم حيث بنوكهم.. لايرفعون رؤوسهم إلا في ظل الكوارث الوطنية والإجتماعية.. فعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ رفعوا اصواتهم (ألم نقل لكم ان كل ما فعلتموه هو العبث.. لقد كنا على حق طوال الوقت.. ان اشتراكيتكم كانت بمثابة توزيع الفقر على الجميع.. وحليفكم الدولي كان حليفاً من ورق.. ومناطحتكم لإسرائيل وأمريكا مثل مقاومة العين للمخرز.. كونوا واقعيين مثلنا).

قبل ثلث قرن - في زمن الرضا - كانوا سذجاً طوال الوقت.. الذي نضج هو وقاحتهم في التطاول على الثوابت الوطنية وشتم المناضلين والإستهزاء بأحلام الفقراء.. لقد كبروا في السن وصغروا في المقام..

يستشهدون كثيراً بالموتى لغياب الدليل..

يعجبهم السياسي لأنه سيد الكلمة التي لم يقلها..

ويخيفهم المثقف الوطني لأنه سيد الكلمة التي قالها..

إنهم أبطال المقولة البائسة في السيطرة على خيرات الأمة تحت ستار قسمة مزورة: (أيها الفقراء: خذوا الجنة.. وأعطونا البنوك).

- في الأزمات يختبئون في جحورهم.. وعندما ينقشع الغبار يقفون أمام بيوتهم ليلتحقوا بالقطار الذي يقف أمامهم.. نوعيتهم من رواد ذلك النادي الأرستقراطي الذي طرد أربعة من أعضائه للأسباب التالية:

الأول لأنه لايدخن السيكار

والثاني لأنه يتكلم عربي

والثالث لأن خادمته سيرلانكية وليست فيليبينية

والرابع لأنه ضبط وهو يقبل زوجته

في زمن الإنكسارات يتصدرون موائد الحكام والمتنفذين ويطالبون بأعلى صوتهم بضرورة التصالح مع العدو الصهيوني.. ويُسخفون جميع الدعوات التي تتحدث عن الكرامة الوطنية وضرورة التصدي لإهانات أمريكا اليومية ضد العرب.. إذا قُدّر للجبناء أن ينشئوا حزباً فإنهم أعضاؤه بامتياز..

في قاموس الخائفين، آخر الشجاعة: الانتحار

الجبناء لاينتحرون أبداً

عزف منفرد

فوضى المصطلح النقدي

يثير كتاب الدكتور «عبد العزيز حمودة»: «المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك»، الصادر عن سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٩٨/٢٣٢، أسئلة في غاية الأهمية حول أزمة المصطلحات النقدية الحديثة، التي تشكّل بالنسبة لعدد كبير من نقادنا المرجعية الأساسية التي يعتمدونها للنظر في النصوص الإبداعية ومقاربتها.

وإذا كانت هذه المصطلحات ـ حسب الدكتور حمودة ـ تواجه أزمة عند المتلقي الغربي، أو الأمريكي عموماً، رغم أنه خارج من ذات الإطار المعرفي والمزاج الثقافي اللذان أفرزا هذا الفكر، وتلك المذاهب النقدية، فكيف الحال مع المتلقي العربي الذي ينتمي إلى إطار معرفي ومزاج ثقافي آخر مختلف ومغاير تماماً؟!

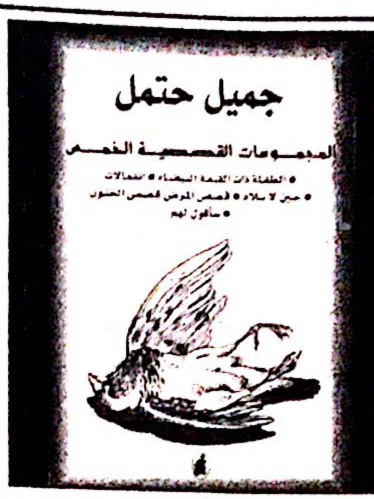
إذاً، فالأزمة عندنا تصبح أزمةً مركّبة وأكثر حدّة وخطورة، لأن المصطلح النقدي الذي لايشير إلى دلالات معرفية محدّدة، والذي يخلق إضطراباً داخل الواقع الثقافي الذي أنتجه، حريٌ به أن يحدث نوعاً من الإرباك والفوضى الشاملة في واقع ثقافي مختلف.

وبرأي الدكتور حمودة، فإن نقاد الحداثة العرب فشلوا في تنقية المصطلح النقدي الوافد إلينا من الغرب من حوامله وخلفياته الثقافية الغربية، وحمولته الفلسفية الكثيفة والمركّزة، ونقلوه بمعزل عن خلفيته الفكرية والفلسفية، ولهذا فإنه فرغ من دلالاته ومضامينه، وفقد القدرة على أن يحدد معنى!

رغم الإنتقادات الصحيحة التي يشير إليها الدكتور حمودة، يجب الإشارة إلى الجهد المعرفي الكبير الذي يبذله بعض النقاد العرب الذين يشتغلون حالياً على تبيئة المصطلح النقدي، وضبط دلالاته المعرفية بما يتلاءم وواقعنا العربي، وهذا الأمر يفتح بطبيعة الحال الأفق أمام النقد العربي المعاصر، كيما ينتج مصطلحاً نقدياً ينسجم والنسق المعرفي، والمنظومة المفاهيمية التي تخصّنا كعرب، ولعل مثل هذا الجهد سيثمر مستقبلاً: تحكّما بهذا المصطلح الذي يفضي إلى تحكّم بالمفاهيم المعرفية المراد إيصالها.

لولا هذا الشعاع من الأمل، لكانت الخيبة كبيرة، والعتمة شاملة!

علي الكردي





● صدر حديثاً عن وزارة الثقافة السورية ١٩٩٨/ رواية «قصر المطر» للروائي: ممدوح عزّام. تدور أحداث هذه الرواية في مطلع هذا القرن، وتتحدث بلغة نثرية رفيعة عن شريحة واسعة جداً تعيش في جبل العرب، جنوبي سورية. نكهة البيئة، وجماليات المكان واضحة جداً في هذه الرواية، التي يبرز فيها أثر هذه البيئة على الإنسان وأثر الإنسان فيها.. وعبر مائة وستين الف كلمة يتحدث عزّام عن هذه المناخات، على لسان شخصيات متعددة، وبغنى في اللغة المليئة بالإستعارات والصور والتشابيه الجديدة. واللافت عنايته الشديدة بافتتاحيات الفصول وقفلاتها.

سبق وأن صدر للروائي عزّام «معراج الموت» عن دار الأهالي عام ١٩٨٨ وهي مجموعة قصصية تحولت إلى فيلم سينمائي للمخرج رياض شيّا وكذلك أصدر «نحو الماء» في العام ١٩٨٥ عن وزارة الثقافة أيضاً.

● عن المؤسسة العربية للدراسة والنشر، صدرت الطبعة الثانية عشرة لرواية عبد الرحمن منيف «شرق المتوسط»، بحلّة انيقة وقد صمم الغلاف الفنان التشكيلي مروان قصاب باشي، وكتب لها منيف لأول مرة مقدمة طويلة تحت عنوان «تقديم متأخر لكنه ضروري» وقد ارتأت «الهدف» مع الروائي عبد الرحمن منيف نشر هذا التقديم (انظر في الصفحات الثقافية).

● وصدر حديثاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت المجموعات القصصية الخمس للكاتب والصحفي الراحل «جميل حتمل» وهي على التوالي: الطفلة ذات القبعة البيضاء، انفعالات، حين لابلاد، قصص المرض قصص الجنون، سأقول لهم.

الجدير ذكره أن المجموعة الأخيرة «سأقول لهم» تنشر لأول مرة، وبعد رحيل الكاتب، وقد كتب معظمها وهو على سرير المرض في مشفى كوشان بباريس، قدّم للمجموعة الروائي عبد الرحمن منيف، والغلاف للفنان يوسف عبدلكي.

على الغلاف الاخير كلمة لجميل حتمل نشرها في القدس العربي ١٩٩٣/١١/٣٠ يقول فيها: تعبت يا الله. وأريد أن أعود إلى مدينتي، أو إلى بيتي القديم.

تعبت من الترو والأنفاق والوحدة، وبرد الشتاء الداهم، وحريق القلب الآخذ بالإنطفاء

تعبت وأريد كل مساء أن أهمس لإبني بمساء الخير.

تعبت من الصقيع من سياط الوحشة. من برودة الرغبات..

تعبت، فأعدني يا الله
ولو جثة، أعدني..

● في صالة «السيد» بدمشق، عرض الفنان المصري أحمد شيحا مجموعة من أعماله الجديدة التي يمزج فيها بين التصوير والنحت والغرافيك ويتناول موضوعات تراثية تعود إلى الحضارة الفرعونية برؤية حداثية أغلقت هذه الفجوة بين التراث والمعاصرة. يقول شيحا: بإمكاننا أن نكتشف المفردة التشكيلية الخاصة بنا، لنحل أيضاً إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر.

الجدير ذكره أن صالة السيد أقامت ندوة على هامش هذا المعرض تحدث فيها كل من: علي القيم، ونبيل المالح، وطارق الشريف، وسعد القاسم، وعبد الله أبو راشد، وحسين نصر الله إضافة إلى الفنان شيحا، وقد ناقشت الندوة مجموعة إشكاليات تخص الفن التشكيلي والثقافة العربية.

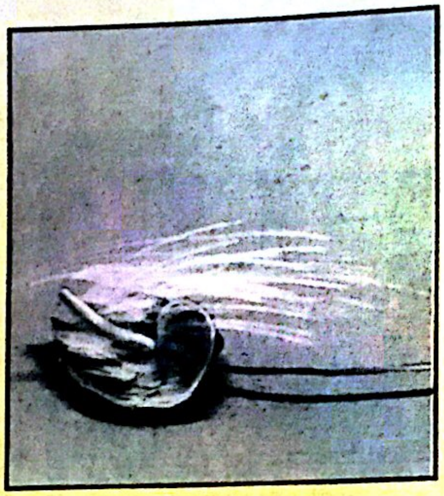
● يعرض الفنان التشكيلي وضاح السيد في صالة دمشق للفنون الجميلة مجموعة جديدة من أعماله التي تتقاطع في عوالمها الداخلية مع نصوص شعرية اختارها الفنان لشعراء سوريين وعرب منهم مظفر النواب، البياتي، أبو عفش، الماغوط، نزار قباني، ممدوح عدوان، سمير الصايغ وآخرون.

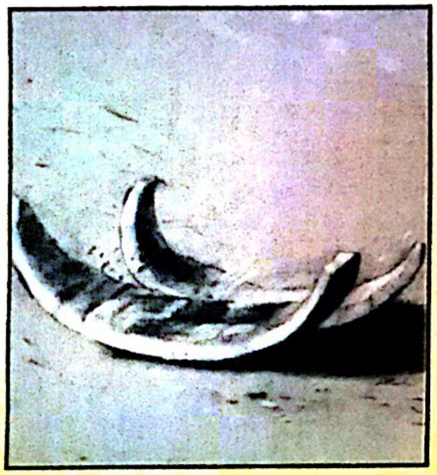
يشتغل السيد على خامة اللباد، ويرفض تحديد لوحته بإطار ويستوحي مفرداته من اساطير الحضارة السورية القديمة.

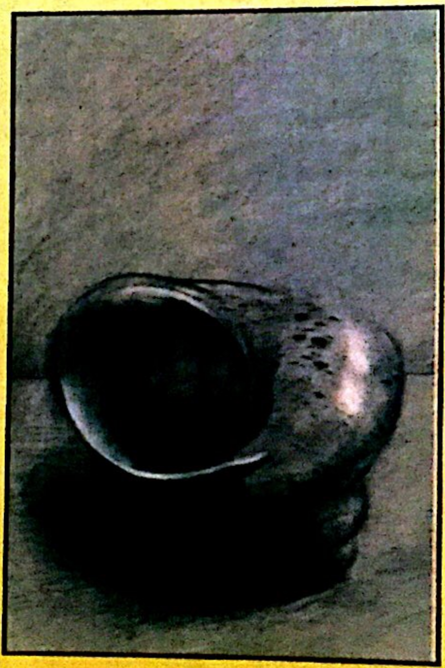
أعمال يوسف عبد لكي الجديدة:

رماديات تقارب قيماً فنية خالصة!

علي الكردي









تبدو مجموعة أعمال الفنان يوسف عبد لكي الجديدة (طبيعة صامتة) أسود وأبيض، وكأنها تحوّل مخالف لخط سير أعماله السابقة ذات الموضوعات الإجتماعية والسياسية، التي بدأت في منتصف السبعينات بنبرة تعبيرية عالية مثقلة بالعنف والقسوة مع ثلاثية أيلول.. وسلسلة الخيول والخيول المضادة التي انتقلت في الثمانينات إلى أعمال مزج فيها بين المنظور الجمالي الشرقي، والمنظور الأوروبي، مجسّداً ما اختزنته من حنين إلى عناصر التراث، والبيئة المحلية بزخارفها ومنمنماتها مع ما اختزنه من تجارب وتقنيات في مغتربه الباريسي.

ثم تطورت تجربة عبد لكي مع أعماله من المشخصات، وسلسلة الأشخاص في مطلع ومنتصف التسعينات، بيد أن المتتبع لأعمال عبد لكي، وخصوصاً في بداياته المبكرة التي ظهرت مع تكويناته عن دمشق القديمة ومعلولا في بداية السبعينات يدرك أن هذه التجربة ليست غريبة عن تجاربه التي رسّخت تميّزه بقوة الخط، ومتانة التكوين والقدرة على التعامل مع الكتلة والفراغ بشكل جمالي لافت. لكن السؤال: لماذا يعود (بعد مسيرته اللولبية الشاقة خلال ربع قرن) لطرح موضوعات (الطبيعة الصامتة) التي شكّلت خروجاً عن هاجسه بالموضوعات السياسية والإجتماعية؟

نعتقد أن عبد لكي ملّ من النظر إلى أعماله بوصفها موضوعات سياسية أو اجتماعية فقط، دون النظر إليها كخطاب تشكيلي يحمل لغةً بصرية، وجمالية مستقلة، وبالتالي فإنه بات يعاني من القراءات التي لاترى في أعماله إلا تأويلاً كلامياً أو أدبياً لتلك الموضوعات الحادّة، لأن مثل هذه القراءات تسقط صراع الفنان مع أدواته كيما يخضعها ليظهر قوله بالشكل الذي يطمح إليه، وهكذا فإن عبد لكي أراد في أعماله الجديدة مقاربة القيمة الفنية الخالصة متخففاً من أحمال موضوعاته السابقة «العنف، الإحتجاج، حدة التعبير، الإشارات المفضوحة، حبكة الترميزات المكشوفة الخ..» حيث يضع نصب عينيه في هذه الأعمال «ليس متعة الإمساك بالأشكال، بل كيفية القبض على الفراغ، فهذا الهواء الثقيل والقلق يطرح من التحديات ما تطرحه كل (الأشكال) الأخرى المتوضعة على المساحة».

يقف عبد لكي أمام المساحة البيضاء، ثم يوغل في هذه المتاهة الغامضة ولوجاً في مساحة التحدّي، وهو لايعرف ماذا يسمّي موضوعاته هل هي: «اشياء طبيعة صامتة، ميتة، ساكنة...» هي ليست كل هذا، هي: «وردة أرسمها اليوم، وأضعها غداً أمام النافذة تتابع حياتها القصيرة.. نوقعة، حتى وأنا أخطها على الورق، تواصل شهيق وزفير الهواء الذي يصدمها باستمرار».

المسألة إذن هي تحدٍ حقيقي محمول على قلق الفنان وهواجسه، والغاية تجاوز الموضوعات (الحادّة) التي تشاغب على شكل القول، وتحرف الأنظار عنه، ادواته في ذلك «هشاشة قلم الفحم» المستخدم في تنفيذ هذه الأعمال، وموضوعات تبدو بسيطة «حز البطيخ، وفردة الحذاء، والزر، والقوقعة، والزهرة..»

يخوض عبد لكي تحديه، بفرد الوانه على سكون المربع، وهي هنا أبيض وأسود ورماديات، بيد أن المتلقي يشعر أنه أمام سمفونية لونية بتدرّجات وإيقاعات في غاية الغنى والتنوّع. إن شغل عبد لكي على التفاصيل والظلال بهذا الحس الغرافيكي العالي منح لوحته التحليق في عوالم جمالية رفيعة، وهو يلعب مع أعماله دور المهندس الصارم، الذي يدير المناورات بين العناصر ليموسقها في كيانها الجديد.

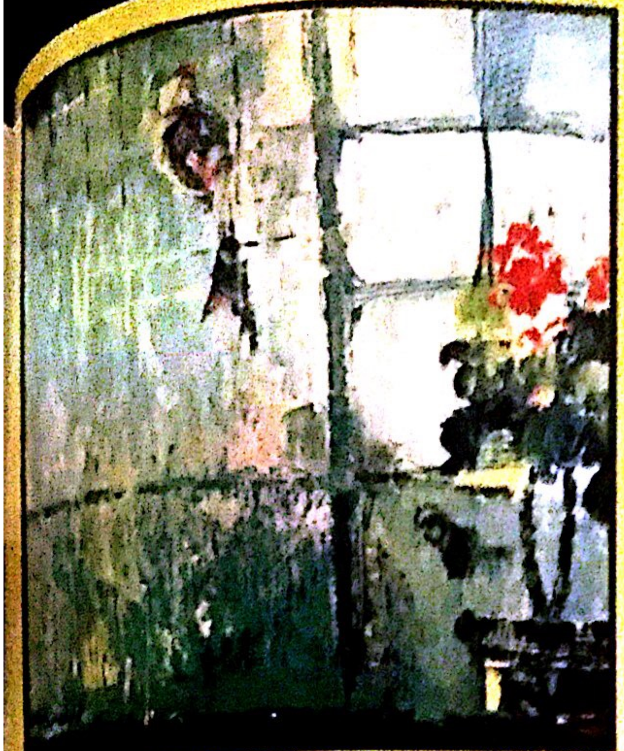
هل نجح عبد لكي في تحدّيه؟!

أعتقد أنه خاض تجربةً حسية ووجدانية عالية، للتأكيد على تلك القيم الفنية الخالصة. هذا لايعني أنه تخلى عن «المعنى» لصالح الأشكال الفنية، بل على الأغلب أراد هذه التجربة «استراحة محارب» ليقول: إن «ثنائية الفن للفن، والفن للحياة» تكاد تكون مقولة بلا معنى.

عن آذار

باعتباره شهراً فلسطينياً

أحمد جابر



طُلبَ إليّ أن أكتب عن مناسبتين: يوم المرأة وعيد الشهيد ولكن يعتذر القلم عن الكتابة.. فآذار شهرٌ غير قابل للإختصار، آذار شهر حافل بالذكريات والألم.

في شهر آذار نمتد في الأرض، في شهر آذار تنتشر الأرض فينا وآذار عند الفلسطيني اختلاط العناصر وتمازجها شهر معاندٌ يزاحم الجميع على مكانته بتقدم الأشهر بما يحتويه من ألم ودموع، بطولة واستشهاد، يجمع في أيامه تناقضات العطاء الخالص والخيانة الكاملة!

وفي شهر آذار تكتشف الأرض أنهارها، وتنطلق فيه منذ ٢٨ عاماً الزميلة «شؤون فلسطينية» راية في فضاء الثقافة الوطنية الفلسطينية فتحية لها.

وفي شهر آذار تستيقظ الخيل وتقتحم فندق سافوي في السادس منه عام ١٩٧٥ في تصفية حساب لغدر الصهاينة في فردان، وفتاة فلسطينية اسمها دلال المغربي كانت على موعد مع الإستشهاد على ثرى الوطن لتعانق مع رفاقها التراب الذي لم يكن في استقبالهم عندما عانقوا الحياة، فعانقوه شهداء.

وفي آذار نتذكر فارساً شجاعاً قاد مقاومة باسلة على مدار خمس سنوات نتذكر محمد الأسود - جيفارا غزة، لنحتفل بذكراه مع رفيقيه كامل العمصي وعبد الهادي الحايك، في التاسع من آذار كل عام، معلنينه عيداً للشهيد.

نتذكر.. وربما نعتبر، وفي آذار في العشرين منه عام ١٩٧٠ كان موعد الفدائيين مع أعدائهم في غور الصافي وفي الحادي والعشرين عام ١٩٦٨ كانت الكرامة - من يتذكرها الآن - وفي السابع والعشرين من آذار عام ١٩٣٩ مضى عبد الرحيم الحاج محمد خاتماً باستشهاده الثورة الكبرى في معركة غير متكافئة مع الإحتلال البريطاني، وفي الثامن والعشرين منه عام ١٩٧٨ رحل عنا وديع حداد، الفارس النبيل، الأجمل بيننا على الإطلاق، الذي مازلنا نتحسر غيابه.

ولكن آذار لاينجو من العار، ففيه وقع السادات وثيقة العار مع العدو في خطوة بائسة مازالت الأمة تدفع ثمنها حتى اليوم.

ولكن.. مهلاً فمازال في آذار اشراق: في الثامن منه نحتفل بالمرأة، نصف عالمنا وسيدته الأولى، ونحتفل نحن الفلسطينيين بالمرأة.. خاصتنا «حامية نارنا المقدسة.. أيقونتنا الطاهرة.. شرفنا.. وكبرياؤنا وقرين أرضنا.. الأم.. الحبيبة.. الأخت.. الرفيقة» وفي آذار.. تحية لشهيدات الوطن، تحية لفقيدتنا الغالية سميحة خليل. حتى لاننسى.

«في شهر آذار في سنة الإنتفاضة قالت لنا الأرض أسرارها الدموية»

في شهر آذار اختلط الدم بالتراب وهب الفلسطينيون في الثلاثين منه ليعلنوه يوماً للارض.. يوماً خالصاً لفلسطين يتعبدون في محرابها شهداء..

وفي شهر آذار يمشي التراب دماً طازجاً في الظهيرة
خمس بنات يخبئن حقلاً من القمح تحت الضفيرة
يقرأن مطلع انشودة عن دوالي الخليل.. ويكتبن خمس رسائل
تحيا بلادي من الصفر حتى الجليل.